وداعاً

يا درب زبيدة

تأليف

عبد الكريم عبد الله نيازي



الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م



الإهداء

إلى ربيع عمري. وسر حياتي
وأمل وجودي...
إلى الذين يملأون حياتي بهجةً
وفرحةً وأملاً ونورًا...
إلى الذين أعيش من أجلهم وبهم
ولهم...
إلى الأمل المشرق. والغد المؤمّل
والخير المرتقب. والسّعادة المرجوّة
إلى الشموع التي تضيءُ حياتي
والزّهور التي تعطّر نفسي...
إلى أبنائي الأعزّاء... أهدي كتابي

عبد الكريم عبد الله نيازي



المقدمة

شعرت أنني تحررت من كل قيود تكبل فكري . . وانطلقت أغرد مع الطير . . . وأتمايل مع الزهر . . وأتنقل بين الرياض . . لا تبعدني سدود . . ولا تحكمني قيود . . وأحسست بأنني ولدت من جديد . . أستطيع أن أكتب وأنشر ما عندي من خواطر وأحاسيس عن النفس الإنسانية . . والمجتمع البشري . . والأمة الإسلامية . . وذكريات الماضي المجيد .

وكان هذا الكتاب : «وداعاً يا درب زبيدة» من أجل فئات عريضة . . من الشباب والشيوخ . . تذكيراً بعظمة الإسلام . . وعودة إلى الحضارة الإسلامية الأصيلة . . وتمسكاً بمبادىء الإسلام وتعاليمه وقيمه ومثله العليا . . واقتداءً بالمجد الغابر . . والأصالة الحقة . . لأمة عاشت منذ فجر الإسلام قوية أبية . . متماسكة متضامنة . . قوامها الإسلام . . وروحها القرآن . . ورباطها الإيمان . . وعزتها وكرامتها . . تضامن إسلامي . . ووحدة إسلامية . . وشعارها العدل والحق . . وكيانها ثقافة إسلامية أصيلة . . وفكر إنساني خلاق . . وأدب رفيع مبدع . . ومعرفة شاملة كاملة . . وحضارة إسلامية شامخة .

ترى هل يعود شباب الإسلام إلى سالف مجدهم . . وسابق عزهم؟

فتتوحد كلمتهم . . ويتجمع شملهم . . ويعلو صوتهم . . وتبعث فيهم النهضة الاسلامية من جديد . . ويشرق على أمة الإسلام فجر المجد والقوة والعزة والإباء والسيادة والريادة.

إلى شباب الإسلام . . وشيوخه . . إلى المفكرين والعلماء والأدباء . . إلى رجال الثقافة . . وأولى الرأي . . أقدم هذه الخواطر التي نبض بها قلبي . . واختلجت بها نفسي . . واهتز لها وجداني . . وأملي أن تكون نبراساً على الطريق . . يحدد المسار . . ويرسم الهدف . . وينير الدرب . . ويهدي السارين.

والله من وراء القصد . . وهو نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

مكة المكرمة

١ رجب ١٤٠٢هـ

٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٨٢

سفينة نوح

فكرت طويلاً فيما الح عليَّ به الخاطر. . وما استهواني فيه القلم - وانا عاشق لما يجود به الوجدان، يسطره هذا الساحر الذي كلما تحرك أنجب بنات الفكر ورائعات الخيال ونحت من خامات اللغات أنغام الحدا حين مس الهيكل اللغوي بعصا الجمال السحرية التي غمسها في بحار العاطفة العذبة ورسم بها صوراً تأخذ بمجامع القلب وتعانق شطحات اللب - فكَّرت طويلاً حين فاضت معاني حلوة آلت عليَّ ان أفك اسرها وأريها نور الشمس حين جاء المخاض وما حيلتي امام قدر محتوم ونظام منظوم وأوان آن ووقت حل. . .

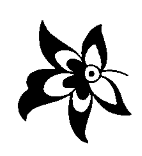
فكَّرت . . . وكيف أبثُّ نجواي وفي أي قالب. . . ؟! حرت أياما وأيام. . . فزحمة العمل تجعلني أهاب ان ارتبط بزاوية يومية. . . واخترت ان تكون اسبوعية إلا ان فيضان نفسي أبى إلا ان يسيل زلالاً . . . لمن أراد ان يشبع على موائد الأدب حيث اللون الجديد والشكل الجديد. أو كما تراءت أمامي إرهاصات من نفسي من الممكن ان تكون قد تزيت بهذا الزي القشيب كي تفرض نفسها علي. . ولكن لماذا هذا الحكم. . . فليس لي أن أحكم. . .

فالقاضي العادل من لا يحكم في قضيته حتى لا يتبع الهوى.
فالحكم لأعزائي القراء وأمنيتي الرأفة بي فإن أحسنت شكروا...
وإن جاوزت طموحي عفوا وتمنوا التوفيق وهذا خلق المسلم... اما
انا فأعمل كل جهدي لأقدم لهم في هذه الزاوية اليومية ثمرة جهد
مخلص وفكر متأن وعقل ما اراد ألا الصواب... ونفس ما ترجو
إلا الإصلاح... لذا كانت هذه الزاوية ثمرة اختيار صعب بعد قرار
اصعب من فرضها من نفس على نفس... قلبت الفكر في عناوين
شتى علها تفي بالغرض ويكون لها وقعٌ جميل ومدلول أجمل فرست
سفينة الحيرة على شاطىء. عنوان رأيت فيه المناسبة كل المناسبة
لما اريد ان أكتب فيه وهو عنوان «سفينة نوح» حيث ان سيدنا نوحا
عليه السلام بكل إخلاص الاصفياء والانبياء دعا قومه الى نور اليقين
فأبوا.. وارشدهم الى الصراط المستقيم فكبرت في انفسهم ان
يتصدى أبو الأنبياء لمثل هذا الارشاد وهذه الهداية فما كان منهم إلا
كل صد وتمرد وتفتت... وتذهب نفسه حسرات ويتقلب وجهه
حيرة وقلبه أسى وعقله غرابة... وهذا النور بين أيدينا... تصم
الآذان وتغشى العيون وتغلق القلوب...

وكانت لعنة الله تعالى وكانت سفينته عليه السلام الذي ظل
يشيدها ويبنيها... والقوم يهزءون... من ناصح امين ومخلص
كريم ذكرى خالدة على مر العصور ودعاهم الى سفينته... وازدادوا
كفرانا واستهزاء واستكبارا حتى ابنه ضل الطريق والنور بين يديه
وحقا إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور... وكانوا من المغرقين ... إلا من هدى الله سبحانه
وتعالى... ففي أيامنا هذه أرى ذاكرة التاريخ تعود وصور الماضي
تكرر والنور بين أيدينا ولكن الرسل زالوا جسدا ولكنهم بيننا معنى
وأثرا.. ومع ذلك فإن ركب البشرية سائر في طريق... أراه

بمقياس الهدى طريق الضلال فما أحوج ركب السكارى لناصح! وما أحوج موكب الحيارى لهادٍ!!.. وما أحوج الغرقى لسفينة كسفينة نوح عليه السلام... وما احوج قطيع التائهين في صحراء الحياة لهاد يهتف بهم... لكل منهم... هتاف الأب الحنون:

أيـــا بـنـي اركـب معـي ولا تـكن كـمن كـفـــر
فـكـــل عقـــل مـرعـوٍ تكفيـه هـاتيك الـعبـــر



ياهذا العام الهجري

وأراه يطل علينا من بين زحام الأحداث في موكب ذكرى من ماضي الأزمان ومجد صنع عظيم الايام . . . وأراه يطل وبكل حياء يشرق إشراقة عز ويفيض على الدنيا فيض الأنوار ليوقظ قوماً هجعوا ويطول هجوع الكسلان ويصرخ بلسان الحال ألا هبوا قوماً ناموا عن إرث في غابة ذؤ بان فالبشر ذئاب جاعوا والإرث مشاع للانسان فعين الحارس غفلت تسدل منها الأجفان وراح الحلم الحاني ليهدهد نفس الغافي في كل أوان ويوسوس في نفس الغافل أبليس الشيطان بأن المجد شموخ والمستقبل مضمون بمكان في غرة زهو الدنيا ويتيه بهذا في الأكوان . . . يسترسل هذا النائم ويصم عن النصح كل أذان ويهتف في حقب التاريخ وما أحلى النوم وما اعظم هذا السلطان ومالي والدنيا وهي ورائي لن تلحق بي وأراهن كل رهان يا حسرة هذا المجد من سخف الاوهام يا أهل الإسلام إلام النوم وفيم الغفلة ووحوش الأرض ماجت كالقطعان افواجا أفواجا ما حرَّك فيكم إلا كل لسان والإرث تفتت بين الشرق وبين الغرب بين الكفر وبين الإلحاد وأنتم في البيد سكارى تترنح منكم في حقب العمر بنات من اذهان . . .

يا هذا العام الهجري توقف . . !! لا تقبل . . . لا تشرق في

الأكوان فقومك ما زالوا في وادي الغفلة والأوهام... ما زالوا في شكل آخر من عبدة اصنام ما فقهوا الدين وما فطنوا ان العمر صراع وكفاح بين الخير وبين الشر بين العدل وبين الطغيان ما زالوا في عهد الصديق ومجد الصادق بخيال الوهم وما زالوا في القرن الاول. يا هذا القرن الخامس بعد العشرة قرون رفقاً بطلوع بهاك على قوم ناموا ولتعلم ان الغفلة عورة... لا تخدش بضياك حياء النوام فكل في وضع مخجل... لا تتعجل حتى يستر كل اولئك ما يتوجب ان يتستر... يا هذا القرن تمهل... لا تشرق ستكون الصدمة اعنف من أي قصور في ماضي التاريخ فالحال مهينة والجو مخيف ومخيف والأمل ضاع والعمر خريف بل الف خريف والحسرة قد باتت تاجاً تعلو كل جباه العقلاء وقد طردوا النوم وراحوا بهتاف ضلَّ صداه آذان النوام وقد أملوا فيك يا اول عام القرن الهجري فهل تسرع لتضيء ظلام القرن الماضي وتعتبر ما حملت بضياع هواه الايام وتسدل استار النسيان على آخر مشهد ذل في مسرح ارض العربان.

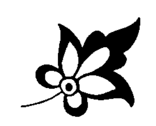
يا هذا العام الهجري تمهل رفقاً بجلالك حين تهل علينا فالجسد يخور يتمزق إرباً إرباً وجنود الحق من الغفلة قاموا ، أفقدهم حال الإرث كل صواب وتلفت في كل تجاه لا تجد فخاراً بل كل خراب وخراب وذهولا يعلو كل وجوه المجد ويفتك بالألباب.

فلتصرخ فيهم يا هذا القرن القادم من أمل الغيب من عمر المستقبل قبل حلول الشيب:

هبوا يا قوما غفلوا عن كل تراث المجد الزاهر وتخلوا عن كل عظيم باهر وتناسوا بالنوم في طول الدنيا هذا الإرث الظافر وبكل غباء تمنوا الأحضان على كل خبيث كافر.

يا هذا القرن القادم من اعماق الغيب بادر واصرخ في عرض الدنيا اين القدس وأين الأقصى يا ورثة مجد الانسان. . . ؟! ما هذي الغفلة واي قصور فيه ماذا يحدث في افغانستان ماذا قدمتم؟! هل حرَّك هذا كل جبان؟! إيه يا أرض الأرز يا روض الفتنة يا لبنان يتمزق كبد الانسان على ورثة بناة المجد فماذا فعلوا بالمجد؟! تفريط وتقاعس همم وتحارب ضغن في كل مكان. . . يا سيف الغمد ألا فارجع للغمد. . . حرام حين تطاوع غي الغفلان!! عد للغمد ولا تخرج إلا لصراع الشيطان أراك رؤفاً لا تظهر بصراع الإخوان ووجه حدك يا عاقل لرقاب العدوان. . . إذا كانوا قد ضلوا درب الله فأنت جدير يا سيف بكل بيان فأنت العاقل ولأشهد يوم يكون الغفران بأنك خلٌّ وبريء يا سيد كل الشجعان.

يا هذا العام الهجري أراك تطل علينا من بين زحام الأحداث في موكب ذكرى من ماضي الازمان ومجد صنع عظيم الايام وهذي الحال كما تبدو فأنت طليق. . إن كنت ترى ان تشرق والحال هوان فذلك أمرك يا مروِّع هذي الاكوان يا رب الغفران يا هذا العام الهجري فأهلاً إن كنت تخبىء أملا بين ثنايا الغيب فأهلاً والأمل يداعب كل الأجفان واسرع يا عام القرن الهجري لتطوي صفحة أحزان وترتل بالصحو جميل الألحان.



رسالة الحادي الأبله

في صمت الدنيا، . . ، والدنيا في موكب إجلال أو تقديس . . . ، والكل يسير بلا جدل أو رفث . . . لا يذكر في عالمنا ألا إسم الله وما أحلاه . . . !!

فيسبِّح، ويحمَّد في قلب أو أب يحدوه خشوع . . . تتجلى عظمة رب الأكوان . . . ويثوب الانسان إلى رشد ويلبي الهبة المهداة . . . في زحف أشبه بخميس الدنيا قد جهز عدته ليحارب جيش الشيطان، وما أعظم صفو الانسان . . . إذا باع الدنيا من اجل الله . . . تراه تجلى من نور من فضل الملك الديان . . . وفي صمت الدنيا، والدنيا في موكب إجلال أو تقديس يتدلى من افق الحاضر إبليس يتبختر في ارض الإسلام، ويبني في ظل جنون واحة أحلامٍ ويشيد في كل صقيع هرم الأوهام . . . !!

ويزكي هذي الفتنة في خلد الإبليس أبالسة تعرف من اين الإجهاز على الكتف فتبذر في روع المغرور هتافا يا ملك الصحراء فأنت رسول من الصحراء . . . !! فتوهم هذا الفارغ أن الوحي جدير بصباه، فاستوحى من حلم صباه ما ألقى من خلد هواه شيطان القرم

وراح ينادي برسالة حقد للدنيا في يوم النحر، ضمنها سما حيث يقول:

بسم الله وأنا صنو لرسول الله وإليكم ما أوحاه الله... ألا تبا لهراء جميع الناس، فقد ضلوا كضلالة شعب الله المختار...!!

فيا للعار...!! وإني انصحكم في يوم تشهد فيه ملائكة الرحمن على الرحمن بكل الصفح لمن يقف بوادي الرحمات على عرفات... فإياكم وسذاجة دين قد آمنتم بصفاه... وإياكم وتضرع درويش أبله قد زهد الدنيا وما معنى الحج...؟!! وما قيمته...؟! فأفيقوا من تشويش الدين فإني جئت لأفهمكم ما حرَّف تجار الدين مشايخه في الافهام...!! كفاكم لهواً، أو عبثاً، وسجودا في هيكل أوهام... ويرصَّع في كل الاوقات صفوفا تتضرع للأوثان...!!

أنا أنبئكم يا كل حيارى الكون... ما مدلول تعاليم الاسلام...؟! وما يفهمما إلا من نبيء بالبشرى مثلي فأنا مبعوث الصحراء لكل الدنيا، وكتابي الاخضر قرآن... وأبث هداه لكل الخلق، وبالعنف ومن يعرض عن ذكري... يا ويل الكافر بكتابي من نقمة غضبي...!!

أنا وحدي افهم كل تعاليم الله... أنا وحدي استوحي الإلهام لفهم القرآن، وكل العلماء أمام فهومي أقزام تعساء... والحكمة خطأ إذ قالت من فم جهلاء، أو ترتيل مجانين...!!

يا شعب الوطن المسكين... فضوا إجماع التضليل، وهيا لمبايعتي كإمام... فأنا أهوى إجلالي كإمام في كل صلاة... ويسبح خلق الله بعلمي... فأنا مبعوث الله بهذي الصحراء...

وأرسل نوري بصقيع الأنواء... أنا وحدي حصن أو باعث للأرزاء...!!

توقيع

رسول الصحراء...!!

أبناء الإسلام... قرأت عليكم مرسول رسول الصحراء...!!

أبناء الاسلام... قرأت عليكم مرسول رسول الصحراء... فقد ظل ينادي منذ سنين في الصحراء بكل هراء وشقاء...!! وجلستم معه بضع سنين... وما أحتج عليه امين...!! وتباحثتم، وتناقشتم... ومضى كل يتغنى بنجاح لقاء الأحباب في قمة حب شرفها كل الأصحاب وعلاج لمشاكل تُعجز عقل لبيب، وعلاج اريب...!!

ما رأي جناب الظرفاء حين يفكر مجنون في مستقبل أمة مجد الإسلام وقد خطط وتدبر؟! ما معنى هذا؟! ومتى ضل طريق الرشد؟! أحديثا أم منذ بعيد؟! هل غفل العقلاء عن سر جنون المجنون؟! م كان ذكياً حتى غلف تخريفاً في صورة حكم يتراقص عقل العقلاء بحان غناها؟!

يا أمة دين الله... حذار من مجنون يفتك بالصف...!! وقبل نذير التحذير أحذركم من خدع النفس وتخلقكم بسلوك نعامة مَثَلِ العرب... فما أكثر رملات الصحراء فتخفون الرأس، وحولكم سهام الأعداء... ولن يفلح قصد القلب وقد أسس فيه الداء وعز بطول الأرض دواء... يا ليت يفيد الجمع دعاء...

يا أهلي وعشيرتي

«... وظن أهلها أنهم قادرون عليها... وتوقفت عند هذا الحد... وأردت ألا أكمل... ولكن سألت نفسي هل صمتي هذا سيوقف النتيجة؟! وضحكت... ضحكت من أعماق قلبي... ضحكت ضحكة المسكين الذي كان يجلس في محفل طرب يضحك حتى تضج الدنيا بصخب ضحكاته وبينما هو مسترسل في نغماته إذا بناعٍ يزف اليه سوءا جعله يذهل من فوره وتصيبه صدمة يواصل بها الضَحك ودموع الأسى الولهان تتأرجح في مآقيه... حتى هدأ به الحال وبدأ يجمع شتات نفسه وفتات فكره... فلقد ظن أهلي وعشيرتي انهم قادرون عليها... بل لقد ظن اهلى وعشيرتي - يخادعون انفسهم - انهم قادرون على كل شيء ولكنهم يتحينون الفرصة... الفرصة التي بها يحولون كل شيء في الدنيا - دنياهم - تحت سيطرتهم... فقد توهم أهلي وعشيرتي انهم بالدنيا - تكون الدنيا رهن إشارتهم بطولها وعرضها فتمرَّح الشيطان في احلامهم جيئة وذهابا وراح يبث اوهامه في نفوس أهلي وعشيرتي وأذكى ذلك شياطين الانس من اعوان شياطين الجن.. فظن أهلي انهم قادرون على الدنيا وأخشى العاقبة عاقبة سوء الظن والظن حالة من خداع للنفس فهو وهم كاذب حتى اذا أتاهم أمر الله

وهم غافلون صاروا كصاحب الجنتين من اعناب وحفيف من نخيل وما بينهما زرعا اذا آتت كل حبة أكلها ولم تظلم فيه شيئا حين قال ناسيا ربه ما اظن ان تبيد هذه أبداً. . . ونسى قيام الساعة في زحمة المتعة وغواية النسيان إذ أتاها أمر الله فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيهما. . . وليت ساعة مندم وليس ببعيد خبر عاد وثمود وفرعون إذ جاءتهم الدنيا منقادة اليهم تجـرّر اذيالها فلما تولوا اليها بغيٍّ فحلَّت إرادة الله وحقت كلماته ومشت سنته ولن نجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنته تحويلا ولن تجد لسنته تغييراً وسمعت نداءاً من الغابرين ما زالت اصداؤه ترن في أذن كل أواب حليم ذلك نداء سيدنا نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام على ابنه الذي ضل سواء السبيل وقلت في نفسي لله درك اما كنت سمعت هذا النداء الكريم الى بر الأمان وقد زين لك سوء عملك مهلكاً. . . واحسرتاه على عقل عطل. . . وعلى فكـر نحى. . . وعلى ايمان أهمل. . . وعلى عبر خلت أخطأها كل ذي هوى ومأرب. . . وظننتم يا أهلي وعشيرتي ـ أنكم قادرون عليها ورحتم في واد سحيق من الغواية والضلال وغرقتم في ظلمات بعضها فوق بعض كأنكم بما قدَّمتم كسابح في يم عميق يحمل اثقالا فوق أثقال من الاوزار تملك عليه قوته فتهوى به الى مكان سحيق وقد اسكرته نشوة النزوة وما زال منغمساً فيها ويظن انه قادر على كل شيء سيبرز الدينار فتتجمد المهالك وكأنه يهتف بطوفان نوح عليه السلام فيا سماء أقلعي ويا ينابيع الأرض انضبي فتستوي سفينته على الجودي لم لا والدينار معه. . . هكذا توهم والوهم ذل فالدنيا تسير بخطى واسعة من حوله وأهلي غارقون في غيهم تأخذهم بوارق الدنانير. . .

فعدت الى مصحفي أتلو وأتلو والعبرات تسيل من جفوني:

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات

الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾.

فيا ليت قومي يعلمون ويا ليتهم يتفكرون.



أرفاقي هل ضحك الطاغوت

وبينا أنا في دنيا الخيال شددت رحلي لأسبح في رؤى الأحلام فاراً من ألم الحاضر. . . جمعت شتات نفسي، ولملمت أشلاء إحساسي، وحزمت أجزاء مشاعري في جعبة الهروب على منكبي، وركبت سفينة النجاة، حصلتها من ماضـي الأزمان، وغابر السنين، وأبحرت والعزم مجدافي، والأمل رباني، والسلوى مضجعي، والايمان نبراسي في حلاكة الهوى والضياع. . . ضياع ما جلبته عليَّ نفسي، وما جلبه علي أبي ولا أمي، ولكنه جليب القادسية وحطين. . . !!

قادسية القرن العشرين، وحطين ذياك اللعين. . . قرن الحضارة والمدنية. . . !! حضارة العشرين ومدنيته. . . . !!

آه منك يا صلاح الدين. . !! لم صرت بطلا يُضرب بك المثل، واحتذى حذوك الأحفاد. . . !!

هل حلَّقت في سموات الجهاد فذا ما باراك في عليائك أحد؟!

هل نضب معين البطولات فلا يغوص فيها غواص مقدام؟!

أعز الأماجد حتى يقلدك المتبطلون؟!

أأنت سيد الأبطال، وخاتم المجاهدين؟! خبرني بالله عليك!!
إن كنت حقا خاتمهم فلنعلن حرب الردة من جديد!!

نترسم خطاك ايها الصديق، فلقد اقفلت وراءك باب جهاد المرتدين، فنكون كذلك في دنيا الخداعين المتبطلين، ولنضرب اعناق المرتدين بسيف الصديق، ونطيح برأس الكذاب... هناك.... على شاطىء أمجاد بني العباس... فـفداكم نفسي بني العباس يوم رسمتم مجد الاسلام، وخططتم سفر بطولات الرشيد!!

وأين أنت الآن أيها الرشيد... الرشيد؟! وأين نحن الآن منك؟!

لكن لست لها!! وإياك أن تحزن... وليس لها إلا سعد!!

نعم قادسية ليس لها إلا سعد...!! حين فتحها ليفرش نور «الله أكبر» يتربع على عرش دنيا الفرس... وعنت الوجوه للحى القيوم... وانحنت الجباه امام الجبروت... جبروت الحي الذي لا يموت... وخشعت الأصوات في موكب مهيب حينما قرت عين البشير... البشير ابن آمنة في قبره!! وقد خبت نار الفرس... وتكسر عرش كسرى إلى أبد الآبدين...!! وانا هنا.. ما زلت اسمع صدى الفجر الصبوح يمزق استار الظلام بصوت استمد حلاوته من صوت «بلال»...!! يا لله.. احفاد الفرس.. عفواً أنعتهم بجهالة ماضي ملعون...!!

أتباع محمد ﷺ يلبون وراء نداء الله!! وصداه يمزق استار ظلام الماضي، ويشع خلال الأحقاب...!! يا سعد...!! ومن قبرك فاسمع لندائي... لصراخي... فزروعك يحصدها هارون....!!

ورفاق السوء... - وما أكثر رفقاء السوء - يغنون بألحان الحقد

المسموم...!! وقطع شمشمون، وتحفز لهواه ينادي: فلأصلح ما أفسده الدهر...، وأرجع مجد الأحرار فأبو بكر مات...!! وسعد مات...!! وصلاح وليٌّ في ذمة رب رحمن...!!

وتسلل ريتشارد بصليب أحمق في غسق الليل، وتصاعد دخان الفتنة في أرض الفرس لتنبىء بفحيح النار ليسجد في المحراب قطيع من زبد الأكباد....!!

قد عادوا فجاراً في معبد كسرى القرن العشرين... وتناسوا بغليل وحماقة موتور سنن الأجداد..!! قد ألقوا للخلق سماحة مجد الاسلام، وتحرق خير الإنسان..، قد جاءوا بالمحق على الأخضر واليابس في أرض الإسلام ولذل الإسلام!!

وتراءت لرشيد أضغاث الأحلام بصورة حق..!! والحق يضيع بأرض الذؤبان.. وصراخ الانسان يدوي!! وعويل الأخيار هباء: من زرع الغدر بوادينا فالوزر عليه بأضعاف تتضاعف!! قابيل تغنى، يتراقص فرحاً يستبشر!! ما عاد وحيداً في دنيا القتل وأرض الغدر!! وصياح سجاح تغنى قد بعثت من قبر الماضي ليعانق كبر الجهل عظيم أساطين الكذب مسيلمة الكذاب...!! وتراه بكل صقيع يتلوَّى رقطاء أفعى ويبث سموم شياطين الإنس على أرض الأجداد!!

وهناك... على زاوية التاريخ أراه بشوشا... إبليس..!! يتشدق بنشيد الشر المحموم..!! ويبارك كسرى في كل خطاه..!! ويشد على كتف رشيد... ورشيد همام القرن العشرين...!!

أرفاقي!! هل ضحك الطاغوت لقوم غير رجالي.. أبطال معارك حرب التنفير..؟! تتمرد أقلام التاريخ، ويستعصي القرطاس...

فماذا يحفظ بين سطور المجد؟! هراءً وضلالا؟! أيغبِّر صفحات بيضا ما سوَّدها تاريخ الأجداد؟!

ويجيء الأحفاد... قد ملُّوا تنغيمة ماضي الأمجاد...!!!

من منا سيقينا فتنة هذا الكذاب؟!

من منا سيعيد عناق الأحباب؟! أو بعد حريق وخراب؟! ودمار، وماء وخضاب؟!

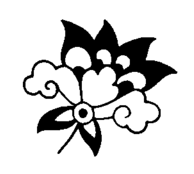
وحروب ما فيها من فاز، ومن خاب؟!

من منا سيقينا فتنة هذا الكذاب؟!

الهمس يسود نواح ورحاب..!! ومتى يبتدر الينا سحبان بفصل خطاب؟! سحبان مات!! وأملي مات!! والماضي فات!!

وتدلى من الأفق رشيد!!

وصديق قال نصوحا: ما فيهم من ظل شهيد.. أو حتى أنغام من عقل رشيد... ونداء حيارى وضحايا الانسان... وبكاء نصوح من ماضي الأزمان:



وداعًا يا درب زبيدة

ميمونة... كفي عن هذا الهذيان..، كفى..، كفي عن خبل الإنسان...!! فزبيدة إن كانت تهذي.. فقد رفعت عنها الأقلام....!!

ميمونة:.. كفي، وأنيبي والدرب فما زال قريباً، ما حدث بعيداً بعد...!! على مرمى الأبصار هناك مشارف درب الغفران...

عودي ميمونة... عودي...!! فالعود حميد، والعزم جديد.. لا تأسي ميمونة إن شطحت باللب غواية هذا الشيطان، فزبيدة لا تعرف حرمة نصح الانسان، لا تعرف إلا كيف تنادي بهراء، وصياح، وبكاء، وضجيج سمج من سقط الأهواء، وبعث الخيبة في ربع الطهر وأرض النجباء..!!

من قال بهذا ميمونة؟! من قال بأن السيف يؤلف بين قلوب الجيران؟! من قال بأن القوة ترجع ما بيع بأبخس أثمان؟! بكرامة أمجاد الماضي بعناه في سوق الذل هناك.... بأقصى الغرب عقدنا الصفقة، ولحاجة أهواء في نفس من يعقوب صفقنا...!!

هل ربح البيع صهيب؟!

آه من خبل الانسان فحين يزيف أنوار الحق، ويقلب اصل الصورة، ويتاجر بشريعة رب الأكوان يتدنى في أرذل أركان!!

ميمونة... عودي، واخشى يوم العرض على الرحمن... ميمونة... فيك جمال الروح، ومقلة عين الايمان... ميمونة يا كعبة لب الانسان..!! هل يرضيك ميمونة ان يلقى هذا الطهر بأتون يفرك عظمة صفو الاسلام؟!

ميمونة غُلّى الكف إلى عنقك فهذا أزكى او أطهر، والبسط الى كف زبيدة ينهر، فزبيدة قد غمست كفا باللون الأحمر..!! لا تقتربي ميمونة.. فيداها مشغولة!! في كف مطرقة والأخرى مثقلة بالمنجل، وتنادي: باسم الله تعالى ميمونة...!!

ميمونة... يا قبلة روحي هل هذا يعقل؟!

ميمونة... كفِّي عن هذا الهذيان، كفِّي كفِّي عن خبل الانسان، فزبيدة إن كانت تهذي قد رفعت عنها الأقلام....!!

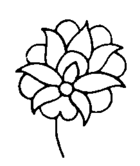
ميمونة... إياك دروب الفتنة وزبيدة تهواها منذ قديم الأزمان.. إن كان الشك يساورك فعودي لرواة التاريخ... سليهم عن ابن جلا..!! لو عاد الى زمن الحاضر لَفَلَّ السيف من الغمد، فقد حان قطاف ثمار قد بلغت حد الايناع...!!

ميمونة شقي عصا الطاعة من جمع الأصنام.. فما أنت ـ ولا نرضاك ـ تبيعا في سوق الانعام..!! ولا نتمناك كأمعة في ركب الايام.. نريدك ميمونة رمزاً للاسلام بكل صفاء الروح وتنزه عمر، وتسامي أيام القرآن. لا نهوى فتنة عثمان، ولا نرضى سبل الأضغان نتمنى ان يرسو قارب ميمونة في بر الايمان. بحشاها لؤلؤتان، ولا نسمح بسقوط المقلة في يد أفاك او ضحية عوج في السير وسوء في

التقدير، قد وسوس بضلالة غر عربيد في مسح حقير، آه ميمونة...!! سيكون الذنب كبيراً لو حقَّ القول عليك...!!

أزبيدة بالله عليك خلي ميمونة عنك ودعيها... بحشاها لؤلؤتان، وكل فؤاد يهوى حضنا، ويهيم بلؤلؤتين،! لو كل الدنيا عوضا لن نرضى إلا بالفاتنتين وإياك ميمونة...!! فلست كما يهوى أعداءك وإياك ولعنة كل الدنيا، فزبيدة مع كل الرفقاء خراب في قنديل الغدر يضيء بكل دروب الحقد لهذا الأفاك بأرض الرب، ولحم الخنزير حرام يا ميمونة وأنت على كل العلم بهذا، وأكل الميتة أيضا في شرع الله حرام...!! هل يرضيك طريق مفروش بحرام وحرام وحرام..!!

ميمونة... كفي عن هذا الهذيان... كفي كفي عن خبل الإنسان، فزبيدة إن كانت تهذي، قد رفعت عنها الأقلام... وزبيدة شيطان يغري لضلال الاخوان، ولفرقة اهل الدين وشرع الاسلام... ما أحلى ترنيمة عود في مكة ارض النور، وزورة في يثرب مسح بهواها كل الأضغان.. يا ميمونة...!! ونقول وداعاً لزبيدة؟؟



رفقاً بنا يا ليل

رفقاً بنا يا ليل قد طال الظلام على ربوع بلادي . . . وهنا نغني للصّباح بلهفة قد شاقنا نور الصباح الهادي منذ انطفأ وهج الحضارة بين انتكاسات القرون . . وتحدرت قطرات دمع ساخن شقت طريق الخد من مقل المآسي . . . ها هنا كان انتفاض الفضل والمجد التليد وها هنا انبثق الضياء بنوره من قمة الغار المسجى بين احضان الطهارة في رؤى الايام يشهد ان هذي الأرض قد شرَّف رحبها خير الأنام لأنه نادى أن اقرأ باسم الله وافتتح الطريق الى الخلود وعند هذا الحد قد صعد الفؤاد بصحبة الاحساس والعقل الجديد متأبطا دنيا الأماني في قمة تشدو مع الايام احلى ذكريات منذ ان وقفَ الامين بغاره ينشد راحة البال في هذا الخلاء الحالم مترفعا عن دنيا الدنايا من رذائل نزوة النفس التي عبثت بها الأيام وانفطر الكلام .

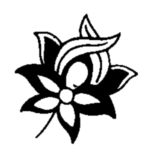
ونظرت من علياء أشرف سيد للكون من هذا المقام السامي قد هالني ما آلت إليه مدائن الأزمان في هذا الفضاء الرحب والمترامي حين أرسلت النواظر عبر ذياك الزحام للعلا المتسامي من قمة الاسلام أبسط الأشراق من نفس كوتها غربة الايمان في دنيا يصير أمرها بيد ربنا الرحمن مالك الأكوان فبصرت أقزام الخليفة حين جاءوا

عن دروب النور قد صاغوا شرائع من هوى الشيطان خيل للقلوب الفارغات صلاحها حتى غدت إكليل زهر في حياة الخلق واستنوا بها وأضاءوا سبيل حياتهم بضلالها ظنوا خبالاً ان شرع الله قد عجز عن زحف الحضارة وارتموا في شرعة الافرنج يحذون حذوهم في ركبهم الشيطان ما أضيع القوم الأولى ضلوا عن الأنوار ويكابرون بحماقة خرقاء إنا قد خطونا بالحضارة أذرعاً حطت على العلياء برحلها وشدت تغني بالعلوم وبالجن. . ما أضيع القوم الأولى ظنوا بهذا السخف أنهم قمم علت شمخاء ويلتوي عنق الحفيدين التليد ليرتوي سما سرى بجميع أجزاء الجسوم لقبلة من ثغر ذياك الغريب عن الديار وقد تربع في الربوع فأهلها من ذلك اليوم السقيم تراهم غرباء يا صحبة الغرباء في أرض الجدود هذا أوان الشر فاشتدي زيم قد لفك الليل بسواقٍ حطمٍ لا يبتغي أروي ولارعي الغنم بل يبتغي هذا الضياء الذي يهدي الأمم ليسود في ظلم الدنا نوراً يشل دياجير السقم يا أمة الاسلام هذا يومكم يوم عظيم من الجهاد فإنه ركن يثبت عزنا ويسمِّق مجدنا حتى القمم أين الشريعة قومنا في حوزة الاسلام ما خصنا غير العلم في كل ربع من ربوع شريعتي غرباء نحن أصحاب نون والقلم اسم الشريعة كل ميراث نتيه بفضله واللب. . آه يا أمم. . ما بين لينين أو شريعة فاجر نحني الرؤ وس بكل فخر. . فمن إحن ويحق قول الله نحن الكافرون بكلِ نعمة ربنا فلقد لفظنا ارثنا الغالي ونوراً في الظلم يهدي به الله المنيب لفضله.

عجب على امم تمسح بالنفاق بشرعنا وتحركوا في مسرح الدنيا بكل رذالة ظنوا الإله بغافل، عفواً. . وسحقا يا قطيعا كالغنم سيقت لحومه ذاح عميت، قلوب قد غوتها زهوة الدنيا حذار من عذاب أو نقم. . . يوم الحساب ولا عذر لنا فيه الندامة ليت ساعة مندم.

يا ليتنا نطوي الغواية جانبا ونريد وجه الله من كل الأمور وتمزق

الاستار عن ضرع النفوس بكل أرض يتمسح الطاغي بكل رحابها وتضيء بالاسلام درب العور وينكشف الخداع وتسقط براقع الزيف من كل الوجوه وهكذا الزبد يضيع جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض.. وأرى من الغار التليد في عليائها نوراً على كل البرية والشريعة تجتلي ازهارها عطرا يفوح على ربوع المسلمين ونقول لليل وداعا يا ظلام ما زلنا نغني للصباح بلهفة قد شاقنا نور الصباح الهادي فلينشر الاشراق في ربوع بلادي شريعة الاسلام ومنى السلام.



عسى أن يكون قريبًا

كان ذكيا جدا. . . وأذكر اياما مضت عليها عشرات السنين. . حينما كان يبدو بائسا مسكينا. . !! وكنت المح اطفال الحي. . . ينبذونه لأنه كريه حقا. .

قضى ايامه التي عاشها ويعيشها على السطو والنهب!! فكلما تمكن من شيء سلبه. . ويجتمع اطفال الحي يحتجون ويتوعدون بالعقاب والقصاص، والجلد، والسلخ حتى القتل وإلقائه في البحر. . . !!

فما كان من صاحبنا إلا ان يبكي مستغيثا. . . مفهما الكبار انه مسكين، وان هذه الأشياء حقه وقد سلبوها منه من قديم الزمان. وحانت الفرصة لاسترجاعها منهم. . والآن فهم متكاثرون عليه يريدون الفتك به. . . فيستعطف القلوب فترق له. فما فتىء الكبار يسبون الصغار. . ويتهمونهم بالعداء واللاإنسانية والهمجية والقسوة حتى ارتسمت الصورة في مخيلة الجميع أن أطفال الحي يتجمعون على هذا المسكين فيجب على الجميع من اقوياء الأحياء ان يقفوا مع هذا المسكين ضد اطفال الحي ـ الحي المجيد ـ!! وكبر من نفوس الأطفال إذ كيف لهذا المتمسكن ان يصبح صاحب حق؟!

وامتلأت الدنيا ـ دنيا الأطفال ـ أطفال الحي بالتهديد والوعيد، خطط المستقبل من أجل استرجاع ما سلب. . واستأسد الصغير لمسكين وتحصن، وملأ الاعتقاد كيانه ـ وكان محقا ـ انه سيدافع أطفال الحي جميعا من اجل حياته. . من أجل كيانه. . من اجل حقوقه المسترجعة. . هكذا توهم. . . وهكذا أوهم الكبار!!

وتحدد يوم موعود، وتقابل هذا الطفل الشرير في حومة الوغى مرات. . .

وفي كل مرة يلقن الصغار درسا. . . درسا يخرجون منه بصياح يملأ الدنيا. . . خسرنا وسنعاود مرات ومرات. . . فلن يضيع حق وراءه مطالب. . وهتفوا جميعا: لن يضيع حق وراءه مطالب!! سنعيد الحق السليب من هذا الشرير الذي لملم شتات نفسه من كل مكان. . انه حثالة الأحياء وكناسة الخلق. . وزبالة البشر. . اعتدى على المجد. . . اعتدى على الكرام. . . اعتدى على الأشراف. . . نعم إنهم اشراف ولكنهم أطفال. . لم يشبوا عن الطوق. . أحلامهم أحلام الصبا. . . !! وآمالهم آمال التائهين. . . !! وتصرفاتهم تصرفات الشباب الغر الأخرق. . !! بأسهم بينهم شديد. . . بلغوا القمة بالصياح والعويل. . . وحلوا القاع بالخلاف والشقاق والتناحر والسباب والتطاول بعضهم على بعض. . . !!

ما أكثر لقاءاتهم وشعاراتهم، وما أقل فعالهم، ومكارمهم. . . يرمون بعضهم بعضا بالتقصير والتخاذل. . . والغدر والخيانة. . وكلهم في الميدان قطط أمام اسد هائج. . . هم كثيرون ولكنهم غثاء كغثاء السيل. . . تحسبهم جميعا. . وقلوبهم شتى. . بل لا تحسبهم جميعا. . !! لأنهم للعيان مختلفون، ولكنهم يوهمون بل يتوهمون أنهم يوهمون الخلق أنهم يد واحدة. . كالنعامة توارى

رأسها في الرمال وكأني بقول الشاعر:

كـالنعامـات تـوارى رأسها حمقا فترشق

هذا سر بلائهم ومكمن دائهم، وموطن ضعفهم.. فلا رجاء منهم، قد ملأ الحقد نفوسهم يتوجسون من بعضهم الشر والخيانة... قد نخر الخلاف أجسادهم، وهلهل الضياع أرواحهم... وسيقوا الى ميدان الشرف وعيونهم زائغة لا تقر على ناحية!! علهم يردون بعضا من كرامة ضائعة.. وشرف فرّطوا فيه بحماقاتهم وقد تبدلت الحال من بعد عز ذلا، ومن بعد قوة ضعفا.. ومن بعد وحدة فرقة، ومن بعد اناشيد العزة والتمسك بالحق السليب تعلو صيحات في كل جنبات الحي المجيد.. نرضى بما قسم الله لنا... نرضى بما قسم الله لنا.... نرضى بما قسم الله لنا...!! فهل يا ترى يأتي غد - وغد قريب - يرضون بما هو واقع وتمتد الأيادي البلهاء لتصافح يد الشرير؟!

قل عسى ان يكون قريبا... ويتحقق حلم الذكي الضائع الأفاك...!!



حان الموعـد

يا مرحى... يا مرحى حين تغنى القلب في الجنب بأحلى آمال تصبو لمناها رغاب منال... ويرفرف بين ضلوع الصب هذا البياض فقد شب العمر عن الطوق وتدلى بالخاطر أمل العمر وتربع في عرش القلب خطرات الحب بأحلى ترنيمة لب.

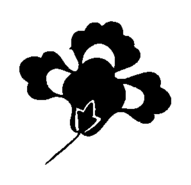
أنا أحلف بغليظ الايمان بأن الأمل هو الأمل وعليه عقدت العزم فقد شب العمر عن الطوق وتدلى بالخاطر أمل العمر تتربع في عرش القلب خطرات الحب فلماذا يستغرب غيري؟! فالكل تغنى بربيع العمر!! ولا غرو فإني حين تفتق برعم إحساس ليفوح العطر على الدنيا جهزت كتائب أحلامي فلأغزو كل تقاليد الخجل ولأفصح عن رغبة أيامي.. قد طفح الكيل وتعبًّا زرعى بالنغم الحاني قد فاض على رغم مني لا حول ولا قوة إلا بالله فهذي سنته.. وتطور تكوين الانسان فلا عيب علي حين أبوح بمكنون النفس فلا أقوى بعد اليوم على كبت مشاعر عمر شبابي...!!

فلأتزوج...!! هذا كل الأمر.. فقد حان الموعد وقد نضج العمر وأصبح في ريعان الزهر... ويدب شعور الزهو في كل الأوصال فقد اكتمل البنيان والأيام تطويها الايام حتى اكتمل تمام

النضج كبدر تمام... آه ما أحلى الأحلام لمثلي فالطاقة أقوى من ان يتحملها جسم الانسان في هذا العمر عمر الزهر، وعمر ربيع الايام... آه ما اقسى الأوهام حين تكسر نغم العمر على صخرة حقد ولهان وبقايا إرث من بال الازمان.. يا شقوة هذا الانسان ويا ذل الامل الحيران حين تُذهَّب اقفاص السجن وتزركش بفصوص المرجان وتزف الروح من موكب أسر وتغلل سلاسل من ذهب....
يا باب السجن عليك سلام مني بل ألف سلام وحرام أن تلقى كل أماني الودّ من الجدران وعليها وعليه يقف السجان وما ادراكم من هذا السجان... هو عرف قد ورث ظلما من ماضي الكفر وإرث الطغيان ليضرب امثالي حين يفكر في تكميل نصف الدين بغية صفو الايمان

وهذي مشكلتي حين عقدت العزم وقد شب العمر عن الطوق وتدلى الخاطر أمل العمر تتربع من عرش القلب خطرات الحب بأحلى ترنيم لي، فرحت لجاري والجار قمين بوصية دين الاسلام وعرضت رغابي وجميل طلابي في ادب جم وبليغ بيان فأنا ابن الدين وخلقي مستوحى من آداب القرآن ورسول الله مصباحي والسنة هديي لن أنس نصيبي من دنيا الناس فعندي ما يكفل عيش العفة وزيادة وكثير من رزق الله ليكون معينا بالله في كل ظروف ورفادة، فالحمد له والشكر له وهذا حسبي وزيادة... فتمطع هذا الجار وقال هنيئا بالدنيا فهذا يرضينا وبكل سعادة... ومرحى مـرحى.. وعليك الآن تحمل أعباء الحفل.. وثوب العرس وكيس الذهب وحفل في ملهى الأفراح وندعو أهل الحي وكل قدير مداح ليشدو في عرض الدنيا أن كريمة قلبي ينكحها ثرى مقدار ويقول الناس عليها قد فاقت بنت فلان او بنت فلان.. فقلت له يا عمي هذا تبذير وحرام ان نسلك درب الشيطان فلننفق في وجه الخير ولا داعي لمباراة في

الفخر وسباق في دنيا اللهو وشر الإسراف. . . يا عمي كن معتدلا فالدين يحث على ذلك. . . فتغير وجه الجار وقال: هذا اسلوبي وطريقة تفكيري والدنيا تفعل مثلي أتريد شذوذاً عن كل الناس إذا كنت فقيرا فمن وسوس لك كي تطرق ابواب الشرفاء أتريد الدنيا تتحدث عني باستهزاء خلي عنك وحين تكون قديراً فاطرق ابواب الناس بكل كرامة. . فخرجت من عند الجار وتركت الأمل بدار الجار وكساني ثوب ندامة وألوم النفس فلماذا يتغنى القلب في الجنب بأحلى آمال تصبو لمناها رغاب منال ويرفرف بين ضلوع الصدر هذا النباض فقد شب العمر عن الطوق وتدلى بالخاطر امل العمر وتربع في عرش القلب خطرات الحب بأحلى ترنيمة لبي فأولى بهذا القلب أفراح العمر ويرسل في كل الدنيا نغمات عتاب ويقر الخفقات بسجن العادات وإلا في سجن الانات. . .



على قارعة طريق الأحزان ...

وعلى قارعة طريق الأحزان وقفت تستغيث بكل أسى وحزن وتحمل بين جوانحها ابنها المطهر... يبكي.. ويئن ويرسل صرخات الفزع والألم.

نعم على قارعة الضياع هناك بجوار نهر خالد.. ذكرته عبر التاريخ لعل من يسمع ويرى يعتبر ويتعظ.. وقفت تصرخ منذ سنين وسنين.. وأرى فلذة الأكباد مكبلا بسلاسل الخزي والعار.. يتلوى حسرة.. ويقول.. يا أمي أين أهلي؟! أين عشيرتي؟! أين أنصاري؟! أين أصحاب الكرامة يا أماه؟!

وأرى جلاداً قد نزع الرحمة من قلبه!! وأرى انيابه تسيل منها الدماء الزكية وأرى على جبينه نجمة!! وأحدق في هذا الوحش الطاغي... وأسائل نفسي: من هذا المشرد الذي يسبي تلك الحسناء المجيدة المشرقة؟! وما هدفه منها؟! وأين أهلها؟!

إن الشريفة لا بد وأن تنتسب إلى شرفاء؟! فأين الشرفاء.. أين الامجاد؟ أين الكرام؟! ليخلصوا قرة العين من براثن ذلك المشرد الحاقد...

وسمعت نداء من داخل اعماق نفسي: أيكون هذا المشرد «كوهين» الذي يحكي عنه التاريخ؟!! أيكون هذا الذي كتب الله عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله في الأرض؟! ربما يكون هو!! ولكن كيف اصبح عزيزا يسبي بنت الأشراف وفي مقلتيها تضع فلذة كبدها يصرخ!! لعل الأهل والآل يخفون لنجدتهما؟!

حقا إنه كوهين!! أليس على جبينه نجمة.. نعم انها نجمة داود... وقلبت كفا على كف وانا اهتف من اعماقي خلصوا ابنة الأشراف يا اشراف...

وإذا بصراخ يملأ الدنيا يخرج كريها من فم كوهين رائحته كريهة أو أشد من رائحة النتن ليس به موسيقى إلا ضجيجاً صاخباً وكأنه نعيق غراب او نهيق حمار وإن أنكر الأصوات لصوت الحمير... يعلن على الدنيا بأسرها أن يا دنيا الناس هللي وانشدي لحن الخلود وافرحي يا دنيا سأنال مرادي واحقق أملي.. أمل العمر.. وحلم المستقبل.. سأتزوج بنت الأشراف إنها لي.. وانا قدرها..

وتصرخ ابنة الأشراف ويصرخ وليدها.. فمتى كان للمشرد حق فيَّ...

يا أهلي... يا عشيرتي... يا قومي...

وأنتظر الرد... وأسمع صوتا يزمجر يملأ الدنيا... نحن قادمون... نحن قادمون... نحن قادمون... سنملأ الدنيا دماء لخلاصك يا ابنة الأشراف.. وقلت حقا إنها فرصة طيبة فلطالما اشتقت لمعارك الكرامة... وكفاح البطولة وفدائية الجهاد فلأنتظر لأمتع نفسي بمعركة الحق وإن الحق لمنتصر... وانتظرت يوما شهرا... عاما.. أعواما.. عشرات الأعوام...!! انتظر جيش

الخلاص.. أنتظر معركة الكرامة... انتظر التسابق من أجل الشهادة... ولكن واأسفاه طال الانتظار.. واسمعها تعاود الاستغاثة بأشراف القوم وأرباب الكرامة وأبناء الاسلام لعلهم يعقلون...

ولكن الصدى ما زال يردد منذ سنين وسنين... لبيك يا اختاه.. نحن قادمون قادمون...

وتصرخ وتصرخ وتعلن صرخات اليأس من ابناء جيلها فاسمعها تصرخ من اعماقها تحيي غابر التاريخ لتوقظ الأجداد والآباء لعل المعجزة تتحقق ويخف لنجدتها من اشتهروا بالنجدة... ولكن لا مجيب حتى قالت واإسلاماه وامعتصماه...

فبادرتها قائلا والحسرة تملأ نبرات صوتي: هوني عليك يا بنت الأشراف... لقد مات المعتصم من قديم الزمان.. ومن مات لا يعود الى الدنيا مرة اخرى يا اختاه... ألا تعرفين؟!



لتكن أفغانستان صحوة ضمير

وقفت مندهشا امام تلك اللوحة الصغيرة انظر يميناً ويساراً. . لقد كنت ذاهبا الى عملي نشيطا راجلا. . وكثيرا ما احب هذا في الصباح. . لقد كلَّ الانسان وملَّ من هذه الحياة التي تسير بخطى كئيبة نحو إنهاك الانسان وإذباله وأحلى سويعات الصباح حينما يغتنمها الانسان في رياضة المشي وما تزال نسمة الصباح الندية لم تعبث بها حرارة الشمس المكفهرة التي ما زالت في خدرها نائمة متسترة بخمار المغيب لم تسفر عن وجهها بعد فتستحي منه مشاعر النشاط والحيوية فتذوب خجلا إلى سيارة او حافلة تحفظ عليها حياءها امام حر الشمس المكفهرة. . وكثيرا كثيرا ما امشي تاركا العنان لفكري يسبح في رؤ ى أحلامي وخطرات أفكاري لا تستلفت نظري اية احداث وانا امر بشوارع المكرمة مكة حفظها الله من كل سوء. . واستمر على هذه الحال حتى توقظني من احلامي اية ملفتات للنظر. . وندرت امثالها. . . ولكن هذا الصباح وقع البصر على لافتة لا تعدو لوحة ارقام السيارات. . وموضوعة خلفا وقد كتب عليها جملة «لتكن افغانستان صحوة ضمير» قرأتها. . وقرأتها وقرأتها. . ووقفت اقرأ فيها حتى استرعى ذلك التصرف بعض المارة وظن ان بالامر شيئاً ولكنني وليت وجهي شطر عملي مستمرا في

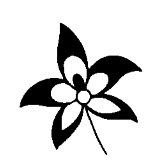
السير وقد سرت قشعريرة في كل أوصال بدني حتى ظننت ان بي مَسًّاً من جان... ورحت اردد حمداً لله.. حمداً لله.. حمدا لله لقد صحا الضمير يا امة الاسلام.. وصلت البهجة في قلبي وملكت السعادة كل نفسي فهذا هو اليوم الذي كنت اتمناه يوم يصحو ضمير الامة العربية والاسلامية لتنفض غبار الذل من جبينها لتستعيد امجادها وكرامتها لتعود كما كانت سيدة بدين ربها.. وبنيت احلاما وأحلاما وآمالاً وآمالا... إن هذه اللافتة لا بد وان تكون بداية الطريق إذ كيف خطر على بال هذا الرجل صاحب هذه السيارة ان يضع هذه اللافتة؟! لا بد وان ضميره متيقظ جدا.. ويسير على نفس درب الكرامة وأمثاله كثيرون.. ثم من طبعها؟ ومن وزعها؟! ومن فكر فيها؟! ومن قرأها؟! كل هذه الاستفسارات أحيت كل آمالي التي سرى فيها مرض اليأس فيا بشراي حين يعود ماضينا الأشم.. واطرقت وانا اسير وخطر على بالي خاطر ليته ما خطر فقد بدل الافراح أتراحا والألحان احزانا والآمال آلاماً... والنور ظلمة والبسمة دمعة...

فقد شخص تساؤل اليم... ماذا فعلوا حتى اخذتني السعادة مأخذا بعيدا عن الواقع؟! لا ينبغي مطلقا ان يستخفني الأمل مرة اخرى وارتفع مع خيالات الاحلام حتى لا اقع مهشما من العلياء الى دنيا الواقع المر.. هل هذه اول مرة يصحو فيها الضمير؟! هل واجه المسلمون الخطر المحدق بما هو أهل له؟! هل استنفرنا؟! هل تبدلت الحياة من صخب ومرح ولهو وفراغ لتتوحد هذه كلها من اجل الجهاد والكرامة وصحوة الضمير؟! طبعا لا نحتاج الى جواب!!

وأزيد الاستفسارات استفسارات اخرى لأوقف شطحات نفسي

حتى لا تتورط مرة اخرى من آمالها وأحلامها فمعيننا ناضب؟!!

هل سيصحو الضمير حقا؟! ولماذا يصحو الضمير هذا اليوم؟! ومتى صحا الضمير قبل ذلك؟ هل صحا الضمير يوم سقوط الدولة العباسية؟! هل صحا الضمير يوم سقوط الأندلس المسلمة؟! هل صحا الضمير يوم احتلال العالم الاسلامي؟! هل صحا الضمير يوم يذبح المسلمون في كل مكان؟! هل صحا الضمير يوم ضياع فلسطين؟! هل صحا الضمير يوم ضياع القدس؟! هل صحا الضمير يوم إحراق المسجد الأقصى؟! هل صحا الضمير يوم ضم القدس وجعلها عاصمة لاسرائيل الى الابد؟! هل صحا الضمير يوم سقوط كثير من الدول الاسلامية بين براثن الشيوعية؟! هل صحا الضمير؟! هل صحا الضمير؟؟ هل صحا الضمير؟؟ حتى يصحو يوم افغانستان؟!



لبيك اللهم لبيك

في شوارع المدينة الساهرة.. العريقة مكة المكرمة.. وفي أزقتها العامرة.. وفي حاراتها التي تعج بعشاق الآخرة، وفي طرقاتها المطهرة.. جبت فيها استوحي من العيون النجلاوات المنكسرة، واسترقص آفاق الوجدان من صدى انغام الألسنة الذاكرة حين تترجم عن أفئدة خاشعة مستغفرة زاخرة بالايمان هاجرة عالم الانسان نافرة الى رياض الرحمن ملبية نداء الواحد الديان ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق...﴾ من كل فج عميق يلبون نداء الله تعالى وقد هتفت القلوب قبل كل الجوارح: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك...

نعم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك... مواكب ومواكب تتلوها مواكب ومواكب من كل فج عميق. تستشعر الروح حين تراقبهم كل معاني الوحدة والتضامن من كل فج عميق هرعوا لنداء الله تعالى في اشهر الله الحرم.. خلوا وراءهم الرخيص والنفيس.. فارقوا الأهل والأوطان، والمال والولدان للقاء مالك الملكوت الحي الذي لا يموت الذي بيده تصاريف الامور وإذا قال للشيء كن فيكون...

من كل فج عميق التقوا في رحاب بيت الله الحرام يكسوهم الجلال، ويغمرهم الخشوع ويحدوهم الورع، وقد تعلقت النفوس من أمل من رحمة الله وغفرانه وطمعت الأرواح في عود حميد كما ولدتهم امهاتهم.. وقد ساقهم إلى واحة الطاعة وشدهم من دنيا الدنايا والمعاصي وكل شيء هالك إلا وجهه ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام..

من كل فج عميق تجمعوا ليشهدوا مواكب الرحمات حين يحين وقت الاوقات وتطمح النفوس إلى عرفات تعالت النداءات والاستغفارات مغمورة في اطهر التلبيات... وما ادراك ما عرفات... وادي الرحمات تصب صبا على عباد ذابت قلوبهم شوقا وحبا.. فرحماك يا رب عرفات...

عرفات قحل لأهل الدنيا، خصيب بالمغفرة والرضوان لمن باع دنياه وأقرض الله قرضا حسنا فضاعفه الله له اضعافا مضاعفة. . حين اسلم لله رب العالمين...

ايها الجمع الغفير... ايها الخير الكثير.. ايها الصفح الوفير... ايها العفو القدير.. ذاب في دنيا التجلي كل فوج جاء من فج عميق.. والتقى عند الأماني كل حب هلّ من كل طريق.. ذابت الأشكال، زالت الألوان، غابت الألسن ماتت الأضغان... واعتلى الانسان صهوة الغفران داس بالأقدام نزوة الشيطان... ليس في الأكوان غير بهجة الايمان..

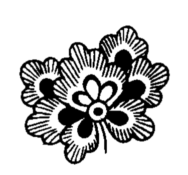
وانقضى عيد التغني في صحبة الرحمن... قد تفرق الجمع من حيث عادوا!! هل تراهم قد تزودوا من هذه الرحلة الروحانية؟! تجردوا فيها من كل شيء وتزودوا منها بكل معاني الحب والوحدة،

وقد اغترفوا من بحار الايمان اعذب مفاهيم المودة والمحبة والعبودية لله...

فهل يا ترى شربوا شربة لا يأتي بعدها الظمأ.. ام كانت سحابات صيف ثم تنقشع الى حيث ذهب الحمار بأم عمرو..؟!!

فجواب سؤالي لا ابغيه!! ومضمون مرادي لن افصح عنه الا بندائي:

أيا بني اركب معي ولا تكن كمن كفر
فكـل عقل مـرعو تكفيه هاتيك العبر



من هــذا؟...

وطالعت فيه.. وأمعنت النظر..!! ولما استعصى علي الأمر والتمييز.. وكزت رفيقي بعصاي التي أتوكأ عليها.. فانتبه معاتبا وقال: يا أخي.. شددتني من غمار تفكير وحيرة!!

فقلت له: انا الذي اريدك معي بفكرك وعقلك فإن ما شدَ انتباهي لا بد وان يشد انتباهك. فقال رفيق عمري ورفيق فسحتي: بل ما شدَّ إنتباهي وما ملك عليَّ حيرتي إلا ما كنت منصرف اليه عنك.. ولو لمحة لما قلت لي هذا..

فقلت: يا رفيقي لا داعي للمجادلة فما يستدعي الامر لانني واثق مما اقول...

فقال: لك ما شئت ولتفصح ولأفصح عما شدَّ الانتباه وبذلك تكون قد قطعت جهيزة قول كل خطيب.. أليس كذلك؟!

فقلت بلى.. أنظر.. إلى من يمشي على الطوار الأيسر.. حَدِّقْ بالله عليك.. أهذا رجل أم إمرأة.. أكاد اقسم انها فتاة ولذلك استحي واغض بصري عفة وإيمانا.. ولكن ما يحيرني ان ذلك الشخص يدخن سيجارة مما جعلني اخلس الطرف مرة اخرى

لاستبين الامر فما تعودت النساء على التدخين خارج بيوتهن... ربما داخل البيوت او في أماكن بعيدة عن مرأى ومسمع الآخرين... وساءلت نفسي إن كانت إمرأة فتلك مصيبة وإن كان رجلا فالمصيبة اعظم...

فقال: أولا... ما كان بيننا اختلاف اول الأمر.. فهذا نفس الشيء الذي شدَّ انتباهي فَلِمَ كان جدالنا اول الامر... ثانيا. نحن متفقان على ما تقول.. إن كانت الاولى فتلك مصيبة.. وإن كانت الثانية فالمصيبة اعظم... ولم الخيار وهما امران كلاهما مر... إن كانت الاولى فقد انتزع الحياء من الأرض وتكون علامة من علامات يوم القيامة... والناس في غيهم... صمٌّ بكمٌ عمي عن نور الله... وإن كانت الثانية... فلعنة الله قد حلت بقوم تمردوا على رب الكون ومالك الامر... حين تشبه الرجال بالنساء وتشبهت النساء بالرجال...

فقلت: يا رفيق عمري... ويا أنيس نفسي خبرنا الدنيا لهوا ولعبا وعبثا وما فيها إلا التقوى والعمل الصالح... يا رفيق عمري ما اقول إلا كما قال نوح عليه السلام وقد عاش الدنيا بطولها وعرضها حيث عمَّر الف عام إلا خمسين ولما سئل قال ما اراها إلا دارا دخلت من باب وخرجت من باب... .. يا رفيق عمري... خلنا من سقطات الطريق... ولله في خلقه شؤون... دع الملك للمالك.. وما عسانا نفعل ونحن في نظرهم قد أكل علينا الدهر وشرب...

فقال: بالله عليك انظر.. لقد حلت لعنة الله فالمصيبة اعظم!!

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.. متخنث... لله الأمر من قبل ومن بعد...

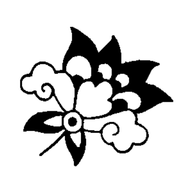
ورحت اتمتم.. المصيبة اعظم المصيبة اعظم... الطف يا رب الكون...

وسرنا لا نلوي على شيء إلا على حزن دفين بين الاحشاء... فقد تبدل الكون ولكن للأسف الى أسوأ... .. ونظرت عن يميني فوجدت عبرة تشق طريقها متهادية مستأتية على خد رفيقي.. ولم اشأ ان اخدش حياءه حين أراه يدمع فكما قلت مرارا دموع الرجال غالية وعزيزة ولا يبكي الرجل الا عن الم دفين...

ولم أشأ الاستفسار عما يبكيه ويحزنه فأنا الآخر تتأرجح في مآقيَّ دموع ودموع.. ولكنها لا تكفي وفاء لآلام وآلام لما آل اليه مجتمعنا...

وسألت نفسي هذا سيحرر القدس؟!.. ويمحي عار الضياع والخذلان؟! أهذا سيمتطي صهوة جواد العظماء الأوائل ويحمل بين جنبيه قلب ابن ابي طالب ويضرب بسيف ابن الوليد؟!

وقطع علي حبل استغراقي وتفكيري صوت ذلك الشاب لما اقترب منا يقول لصاحبه: بسرعة اركب السيارة الدنيا حر شديد سموم.. سموم!! كيف عاش اجدادنا في هذا الجو.. ما عندهم إحساس فقلت في نفسي نعم... يا بني ما كان عندنا إحساس!!



آهٍ منك أيها العقل

ووضعت اليد على الخد.. وفككت اسر العقل.. لينطلق حرا طليقا.. وما عدت اصدق الزخارف والزيف.. وبريق الكلمات.. والتشنجات في التعبيرات.. وقلت حقا ان ما تلهج به الألسنة لا تقدر عليه الهمم. فما تعودت منذ ان شببت عن الطوق وتجولت في سير الأولين ما تعودت على المقوال فعالا.. فإما القول وإما الفعل... لا يجتمعان فهما ضدان... لقد كثرت الأقاويل.. فهمس لي عقلي من حياء وخجل.. لا تصدق فهذا تكرار لما مضى في غابر البشرية. والتاريخ خير شاهد. .ولكن نفسي العربية أبت ان تنصاع لنداء العقل.. وحمية الوطنية تمردت على الجوهرة الثمينة. .واعتذرت للعقل فقال لي: قابل عذرك وأنت مع الكذاب لباب الدار...

وتتطلعت بروح تواقة في ربوع الأمة الاسلامية والعربية.. فيا بشراه. .لقد صحت الأمجاد من الرقاد... وكأن عصا موسى السحرية أحيت النوام ليعيدوا على البشرية قصة عظائم طويت وتقادمت عليها الازمان.. فيا بشراه توحد المسلمون في مؤتمر عظيم... ويا بشراه تمخض المؤتمر عن قرارات تهتز لها الدنيا

إعظاما وإجلالا.. ويا بشراه مؤتمر ثانٍ... وثالث...إلخ.

آه منك أيها العقل الحقود... هذه الأعياد كلها وتريد أن تحرمني بهجتها يالك من شقي تعس... عزم هنا وتصميم هناك ونداء يقض مضاجع المعتدين وتأهب بـــ..؟! بماذ؟! لست أدري!! وأهمس في نفسي هل انت على حق أيها العقل؟!..

وصحوت على واقع مرير.. فما كادت البسمة ترتسم على شفتي حتى زالت وحلت محلها تكاشير وتميز من الغيظ...

وما كادت تنفك الاسارير حتى تجعدت ألما وضيقا... وما كادت دموع الفرح تنهمر حتى أزاحتها دموع الخزي والألم العميق... آه من الأعماق أرسلهاويرن صداها ليصم آذان الجبناء والمتخازلين والخائنين...

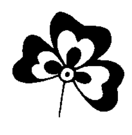
لقد أخطأ السهم مرماه... الى صدر أخي!! أخي المسلم!! مسلم يقاتل مسلما واخجلتاه من الله.. ومن رسول الله.. كلاهما في النار... كلاهما في النار.. وصدق رسول الله وكذب المختالون... وتدور الحرب العارمة المستفحلة بين دمى على مسرح الوطن الاسلامي الكبير تحركها أصابع مفتن ماهر.. بحركها كما يشاء كيفما يشاء أمام الجماهير ويستجلب ضحكاتهم بأن يجعل الاراجوز يضرب زوجته أو ابنه على غفلة وبدون ضجة حقيقية بل يتزرع الأسباب الواهية ليكيل اللطم والضربات ويسخر الجميع من الاراجوز على مسرح العرائس الى هذا الحد وصلنا... ففي المؤتمرات أحلى النغمات بالبيانات والتوصيات وفي الواقع أسوأ ما يتصور مسلم أو عاقل أو حتى مجنون..والخلافات كلها تحل بالإيمان والذوبان في الاسلام الذي وحّد بين الشعوب المسلمة

وآخى بينها وما هذه الخلافات والقضايا الا مخلفات استعمار. أبى إلا ان يتركها كمسمار جحا أو ألم دفين يعز ويستعصي على العلاج لطبيب لا يستعين بالله .. أهكذا يا أمتي الاسلامية يبلغ بك التناقض الى هذا الحد ما إن تجتمع الكلمة في مؤتمر حتى يطلع الصباح وكأن كلام الليل مدهون بالسمنة فتطلع عليه الشمس فيسيل هباء وأكثر من ذلك يطعن بعضهم بعضا...

ورحت أحادث عقلي معتذرا له عن سوء ظني به واتمتم.. حقا أيها العقل.. ولقد قلت صدقا حين قلت عن العربي أفلح إن صدق.. وليته صدق.. وأنا أقول له:

أيا بني اركب معي ولا تكن كمن كفر

فكل عقل مرعو تكفيه هاتيك العبر



دروب الحيارى

ومشى بي قطار العمر.. وتقدمت السنون.. وأنا اقلب فكري بين صفحات الماضي.. الماضي الأشم ذلك الماضي الذي اشرأبت إليه أعناق المعالي في قرننا العشرين حين ظمئت اليه أرواح عطشى لواحة من أمن وأمان تستلقي فيها مواكب البشرية المعذبة وتغتسل بها من عناء السفر في دنيا قابيل التي سادت قوانين غابها وتمددت كليل بهيم تستمرىء فيه الرذيلة زادها وتستأنس لأنسه القبائح.. وتنطلق خفافيش الظلام حوامة في مشرق الأرض ومغاربها.. وتستحوذ عليهم أفكار كنا نلقمها من ثدي الجهل أيام تمخضت الأحداث بصحوة الغرب وسبات أهل الاسلام قاطبة... تلك الأفكار التي اغمضنا عيوننا استرشادا بها خوفا من خفافيش الظلام أن تنشب أظافرها في مكمن البصر... فماذا يبقى لنا؟!... البصيرة وقد ظللوها إلا من عصم ربك وحفاظا على ما بقي لنا أغمضنا الجفون عن وهم شربنا كأسه وهذا قدر مقدر وسنة لا تحيد فسبحان المقدر الذي لا يتغير...

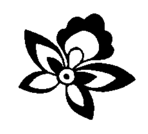
وعجبت.. ولفني العجب واحتوتني الدهشة من ذلك الذي كرّمه الله تعالى على العالمين حيث يقول سبحانه وتعالى.. « ولقد كرّمنا

بني آدم» ونظرة مدققة من المهتمين باللغة والأدب والتفسير ليقفوا على ما بدأت به الآية « ا لم » وقيمتها البلاغية «وقد» ومدلولها الذي لايترك مجالا للشك في ان الله سبحانه وتعالى كرّم الإنسان أحسن تكريم فتبارك الله أحسن الخالقين. . . لقد كان موطن التكريم. . العقل الذي به تنتظم الدنيا وتستقيم الأمور ويقتحم الانسان العقبة وياله من جوهرة عجز البشر قاطبة عن تقديرها ولما عجزوا أطلقوا المثل الذي أضحك الدنيا لسذاجته وخطورته حيث قالوا: «ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الضلالة ينعم» أو قالوا: «المجانين في نعيم». . ولكنه العجز الذي يورث بخس الأشياء أقدارها حين العجز عن التقدير. . . واستهانوا بجوهرة العقل التي خاطبها الله في كل كبيرة وصغيرة للتعرف على ذاته والتقرب اليه بالطاعات. وهل يعرف الطريق جاهل. . . ؟! وهل يقف على حقائق الأمور أخرق؟!.

وأراحت البشرية الضالة نفسها ـ أو بمعنى ادق السُذّج في دنيانا ـ حين تركوا العقل جانبا وساروا في الركب معه! إن أحسن الناس أحسنوا وإن أساء الناس اساءوا. . . وما أكثر السوء في عالمنا حيث يموج الكون بالرذائل. . . وأوهمنا انفسنا بأن الدنيا قطوفها دانية وليست الآخرة. . . وتحولت الأمور الى عادات وطبائع صعب التخلص منها والتخلي عنها ومضت السنون وصرنا الى ما نحن عليه وكأني في مسرح الكوميديا نتمذي العيون بهذه المهازل التي تضحك بصوت عالٍ. . أو بنهيق مستنكر وقالوا. . شر البلية ما يضحك. . نعم شر البلية ما يضحك. . حين بال الأعرابي ليتوضأ من بوله. . وشر البلية ما يضحك حين يصرخ مخمور في حان الدنيا وينادي بأعلى صوته في مجمع السكارى حي على الصلاة حي على الفلاح وشر البلية ما يضحك حين يقف الوعّاظ غابات الذئاب الجائعة

ليحدثوهم عن الصيام وفضله والفضيلة وقيمتها وشر البلية ما يضحك حين نحكم اللصوص المحترفة في سرقة سرقوها ونهبوها... حين نامت أعين الجبناء واقضّت مضجع ابن الوليد في ثراه... وشر البلية ما يضحك حين ندعو الله وضمير الدنايا ما يزال يقطر من الأفواه... وشر البلية ما يضحك حين خاصمنا الجبار واصررنا على خصامه وطلبنا عونه ونصره...

وأنا أقلب فكري وتذهب نفس عليهم حسرات حين يؤذن المؤذن خمس مرات كل يوم... الله أكبر.. الله أكبر لا إله إلا الله... ونهرع الى المساجد ونخرج من المساجد وكما دخلناها نخرج منها وما في القلب وما عزمت عليه النفس فهو محقق لا محالة... وتدور عجلة الزمان... وتمر الأيام تلو الأيام ومن سيء الى أسوأ.. أمتنا الإسلامية قاب قوسين أو أدنى لتلفظ انفاسها الأخيرة في خضم الطغيان الطاغي وحقت كلمة الله.. نسوا الله فأنساهم أنفسهم.. ولكن هل لي ان اصرخ في حان الدنيا علهم يفيقون.



يا قلب ما روعك

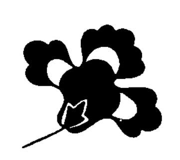
يا قلب ما روَّعك؟! حين تجول بذهنك بين صفحات ادب القرن العشرين تبدو كاسف البال حزينا. . ما أفزعك؟! لما أمعنت النظر في آثار الأدباء وشعر الشعراء وقصص القصاصين ومقالات الكتاب. . . فلماذا يتقلص جبينك؟! ولماذا يرتفع حاجب وينخفض الآخر وتلوى الشفاه تلوي المكلوم؟! ولماذا تهتز الرأس وتتأرجح يميناً ويساراً؟! وتداعب الاوتار آهات الأسى والحزن العميق؟! آه ايها القلب!! عرفتك منذ سنين وسنين تعشق الأدب الرفيع، وتهتم بالتعبير الرائع، وتذوب في العاطفة الجياشة وتأخذك معتركات التجارب التي ينصهر الأديب في أتونها فيتشكل الاحساس وينفعل بها فيعبر التعبير الصادق الذي لا يدانيه صدق وحبذا التزويد بالثقافة وسعة الاطلاع. . . عرفتك تتمايل طربا حين يعزف الاديب لوحته المتكاملة مزودة بكل هذا الزاد الرائع الذي هو مصدر الروعة ومنبع البهاء والرقة. . !! وعرفتك منشرح الأسارير وتشع السعادة من كل اوصال الجسم والروح وتكاد العيون تنطق من فرط الانفعال امام لوحة من لوحات امرىء القيس او الأعشى او طرفة ومع صور العاطفة الجياشة والشعور الرقيق لشعر البحتري ويا لها من حكمة تثير التقدير وتنزع الاعجاب من عقول العقلاء تلك التي يعزفها

المتنبي على وتر شاعريته المقتدرة التي تقف امامها ألباب العاشقين للأدب الرفيع كأنها في معبد الإلهام تحملق في عالم رائع من الفن الساحر.. أو حين يتقدم بنا الزمان لفسحة في روضة رب السيف والقلم الشاعر الفارس البارودي ليذكرنا بسابقيه من اساطين الفن الخالد من الشعر.. وناهيك بشوقي وحافظ وغيرهم من شعراء العربية وكتابها و... يا لها من روضة غناء ممتلئة بصنوف الروائع التي زينت هذا الأدب الذي تشرَّف بلغة الضاد وشرفها منذ مهد التاريخ وما زالت آثاره خالدة حتى يومنا هذا تقف شامخة بين آثار المحدثين تتحداهم ان يقولوا مثلها فواعجبا ايها القلب ولك الحق كل الحق حينما تقف امام آثار اليوم سواء أكانت شعرية ام نثرية بصنوفها وادواتها واشكالها... الآن عرفت فقط لماذا ارتسمت علامات الضيق والحيرة وعلامات الكآبة والحزن العميق وما كنت ادري ان هذا حدث حين سيحس آثاره اكثر من يأتي بعدنا... اين هذه الآثار الشعرية والنثرية من معلقات القدماء وترانيم السابقين.. اين شعر العصر الجاهلي من شعر العصر الحديث والمعاصر؟! خبروني بالله عليكم لا حيركم الله اين نثر القدماء الذي يقطر حلاوة وينشد بلاغة ويسيل عذوبة ويفيض رقة وبهاء. من نثر المورثين؟! يا للخزي والعار!! أبنية هشة وألوان باهتة واشكال رثة والقاب في غير موضعها وصدق الشاعر حين يقول:

القاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

فعلى صفحات الجرائد وبين دفة المجلات وما يحمله الأثير وتنقله الصورة تسمع نعيق غربان واشباح قصائد - وانا آسف حينما اصفها بأنها قصائد - وتجد الشاعر الكبير، والشاعر العظيم، وشاعر كذا - والقاب والقاب فحينما اسمع هذه الألفاظ اقول يا سبحان

الله: الا هبوا من مرقدكم يا شعراء العربية من عهد إمرىء القيس حتى عصر حافظ وشوقي ومن اجاد هبوا يا كتاب يا ادباء فقد سرقكم فضوليون على موائد الأدب والشعر سرقوا القابكم وليسوا بها جدراء فيا ليتهم سرقوا مواهبكم وليتهم سرقوا افطنتكم ويا ليتهم سرقوا تفننكم ويا ليتهم سرقوا ذكاءكم ومشاعركم ليعبروا بها بروح العصر عن عوارض العصر فليس كل من قال بيتا كان شاعرا وليس كل من كتب سطرا كان اديبا ولكن انظروا خلفكم الى تراثكم ساعتها تغضون البصر حياء وخجلا وساعتها تقولون يا ليتنا ما حملت بنا بطون امهاتنا فلقد لبسنا شعرنا لا يحق لنا ولا لامثالنا ولكن وهيهات هيهات ان يجلس الضعيف على كرسي عرش الادب في غيبة اهله وغفلة اصحابه فيسمح لنفسه ان ينزل مرة اخرى إلا إذا طلعت عليه شمس الحقيقة وعركته الايام فصبرا يا شعر. وصبرا جميلا يا نثر حين استفرس غيرنا واستأسر هو لما خلا الميدان من فوارس واسود...!! وليس ببعيد ان تطلع شمس في يوم من الايام فتفر الأشباح امام نور اليقين وساعتها يعلم الذين خدعوا اي منقلب ينقلبون ولا يصح إلا الصحيح ويدخل بغات الطير في اوكارها حين تهز الصقور اجنحتها لتصول وتجول في ميادين الفن... ويستنكر صوت الغراب حين يتغنى الغزار بألحان الخلود وتعيد مجد الماضي التليد ويلبس الأدب ثوبه القشيب ويتوسر المقام اهله ويحمل راية الأدب الأدباء حينها تقر يا قلب فبشراك وقل عسى ان يكون قريبا.



أبشر بطول سلامة يا مربع

طالعت في احد كتب الأدب ـ وهذا دأبي حين يلفني السأم من أحداث وآثار عصري وتأخذني الملالة مأخذاً فألوذ بذلك للماضي . . الماضي البعيد جدا والقريب منا حيث ما زال بيننا وكأننا نعيشه، فخيالنا اوسع وشطحاتنا ارحب من ان تسع ذكرياته فقط بل واكثر . . . إذ ان ماضينا وضعنا في قالب من العظمة والعزة والكبرياء . . وتعود بي ذكريات ذلك التركي العثماني الذي كان اثرى واغنى الناس «بالعنطظة» والكبرياء الزائفة حتى داخلني العجب من ذلك المثل الذي قيل عن فقرهم حين يطلب الصدقة قائلا: «حسنة وانا سيدك» وليس بغريب ان نشعر هذا الشعور فليس من السهل على من عاش كريما عزيزا حين تدول دولته ان يرضى بهذا العيش فيأبى إلا أن يواصل حياة العزة والكرم ولو بذكريات ماضيه . . . اقول طالعت في احد كتب الأدب ـ ولأنني عربي مسلم تمتد بي جذور تاريخي الى ذلك الماضي العزيز . . . فأردت ان استنشق عبير ذكريات باعدت بيني وبينها احداث الحاضر المؤسف ـ فقلبت صفحات الكتاب فوقع بصري على بيت من الشعر اهتزت له فرائصي وداخلني الخجل واعتراني الحياء ذلك البيت لشاعر عربي عاش في فترة من اعظم فترات تاريخنا الغابر

نعم الغابر الذي ربما لن يتكرر وصورتنا هكذا... ذلك الشاعر جرير بن عطية إذ يقول متهكماً من متحديه الشاعر الفرزدق:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا   أبشر بطول سلامة يا مربع

وما اصعب موقف الانسان حين يتعرض لتعرية المشاعر والأحاسيس.. ولكن ساءلت نفسي هل يفهم هذا البيت كثير منا.. او بمعنى اكثر وضوحا.. هل يتأثر غالبيتنا بمضمون هذا البيت الذي قاله شاعر عربي في عز مجد امته لأمة بأسرها.. آسف لشاعر يعارضه.. والجواب أكاد المحه في عيون قراء هذه السطور ولا داعي للتصريح به فيكون تحصيل حاصل..

وعجبت من ذكاء جرير... اذ كيف يخطر على باله ان يقول هذا البيت العظيم..؟! هل تعلم في جامعات اوروبا وأميركا وغيرها..؟! هل حصل على أعلى الشهادات العلمية او الادبية هل استطاع ان يخترق المستقبل بحدسه حتى يتطلع لحال امته وما ستعيدإليه ـ باعتبار حديثنا عن عصره ـ أواه من ذلك الذكي الذي حكى قصة أمته في القرن العشرين وما زال في غابر القرون الماضية.. وحكى قصتها بكلمات تكاد تعد على الأصابع هذه الحكاية التي ظل ابطال امتنا يمثلون احداثها أياما وأياما بلَ سنوات وسنوات بل قرونا وقرونا.. حكاها من الفاظ قليلة بلَ في لفظة واحدة «زعم» تتكون من ثلاثة أحرف فقط!! ولما وقع بصري على هذه الكلمة وامعنت فيها البصيرة ذهب دهشي وحلت حيرتي واحة الرشاد وهنا همهمت لنفسي أسائلها ألذلك سموا انفسهم «زعماء» وهي جمع «زعيم»!!

ثم استرجعت دروس النحو التي درستها برغبة ملحة ايام كنت

تلميذا وطالبا.. راجعتها فهداني تفكيري الى ان هذه اللفظة على وزن «فعيل» وفتشت في جعبة خيالي بعد عنت وإجهاد فكر حتى توصلت الى انها من الممكن ان تكو صيغة من صيغ المبالغة!!!

وكان حل اللغز الذي ظللت في حيرة منه حين سمعت منذ اكثر من ثلاثين عاما حتى يومنا هذا قرعات طبول الحرب والدمار لعدو سلب اغلى امانينا ألا وهي الكرامة والرجولة والعزة.. سمعت واسمع قرعات طبول العرب في الاذاعات والصحف والمجلات والمحافل والاجتماعات واللقاءات والقمم والمؤتمرات زعم الزعماء انهم سيحررون الكرامة والرجولة والعزة.. وحفظ الصغير قبل الكبير كل هذه التصريحات حتى ما يكاد القائل يبدأ في زعمه آسف من تصريحه حتى يكمل السامع بقية التصريح...

طويت صفحات الكتاب والقيته جانبا وانا أتمتم كلما سمعت قرعات الطبول لتراقص مشاعر الأحرار أحفاد العظماء وابناء التاريخ... أتمتم أبشر بطول سلامة يا مربع!!



هذا الشباب

وخرجت من منزلي في رحلة روحية اذ عقدت العزم على الذهاب الى الحرم الشريف لأكحل العين بالنظر الى الكعبة المشرفة فالنظر اليها عبادة... سبحان الله العظيم النظر اليها عبادة.. وهكذا اخبرنا الصادق الامين ﷺ وقوله الصدق فما ينطق عن الهوى.. ان هو إلا وحي يوحى...

وما أن لامس قدماي اديم الطريق حتى سرت في روحي قشعريرة كأنها ماء الحياة يدب في أوصالي وشعرت باللذة الروحية واللهفة لأحضن الكعبة الشريفة ببصري وأضمها الى قلبي فقد شرفها الله تعالى وجعلها رمزا للوحدة والجلال... وتابعت أقدامي الخطو على الدرب وفضلت هذا المساء ان اذهب الى المسجد الحرام راجلا وأصبو بأحلامي في الطريق امتع نفسي بالنظر الى المارين عبر الطرقات متجهين الى المسجد الحرام لابصر في عيونهم لهفة الشوق الى اشرف مكان على وجه الأرض... ومن داخل نفسي سمعت نداءا خفيا يهتف في اعماقي.. ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا وكأن نداء المعري في غابر الزمن صدى لهذا الهاتف الغريب اذ يقول:

خفف الوطء ما اظن اديم الأرض إلا من هذه الأجساد
سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالا على رفات العباد

فقلت يا سبحان الله العظيم صغير هذا الانسان مهما داخله الكبر... ضعيف مهما اعتراه العنفوان.. حقير لو ظن بنفسه قدرة.. لا حول ولا قوة ولا قدرة إلا بالله العظيم ومواكب الطائعين الخاشعين تمرق لاهفة مشتاقة الى المكان الطاهر المقدس تسبق الزمان والمكان بأرواح تواقة للعبادة والسجود والنظر لبيت الله الحرام... هذه الوجوه من كل مكان... من كل فج عميق تسرع وكأنها في سباق مع الزمان لتغتنم اطول اللحظات في هذه الرحلة الصافية الروحانية... وانا ايضا ذبت في فكري مع احلى احلام واغلى ذكريات وفجأة يمرق من جانبي ويكاد يفتك بي بسيارته الفارهة... يا الهي..!! ما هذا وابصره كالسهم المارق شابا لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.. يغطيه الكبر من اخمص قدمه للرأس وكأنه يرتدي ثوباً تسمع صوت السيارة تحتك عجلاتها بالطريق بشكل مفزع وتصدر صوتا عاليا مخيفاً وتراه يتموج يمنة ويسرة تموج الخيلاء.. وكأن الطريق ملكه وحده.. أهذا من الأدب؟؟ أهذا من خلق الاسلام؟! أهذا من آداب المرور؟!! وأين رجال المرور؟! لمثل هؤلاء الذين ينشرون الرعب في نفوس المارين بطريقة مؤسفة ينبغي أن تسحب رخصهم وسياراتهم أيضاً ليستريحوا ويريحوا فمكة بلد الله الحرام وأرض الله المقدسة لا ينبغي أن ينتشر فيها مثل هذه المخالفات السخيفة.. الآن عرفت لماذا كان هذا الهاتف الخفي يهتف بنفسي ولا تمش في الأرض مرحاً.. وساءلت نفسي لماذا؟! لماذا يسير هذا وأمثاله هكذا؟! اشترى الطريق؟! أم ضمن الأجل؟! أم على حساب الناس وربما على جثثهم يمشي؟! هل انتهت حرمة مكة المكرمة؟

وتابعت السير وقد ملأني الغيظ!! آه لو كنت مسؤولا لكان قراري منع هؤلاء من ركوب السيارات وسحب الرخصة ودفع غرامة كبيرة!! وفي نفسي قلت ماذا وراء هذا الغركي يسرع بهذه الصورة المرعبة؟! عجيب هذا الأمر؟! وخطوت خطوات قليلة.. وكانت المفاجأة المذهلة!! فإذا بي اهتف من اعماقي سبحان الله العظيم:

فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون

ووقفت امام جثته هامساً: ما كان لك ان تسمع ندائي حقا:



وكم تشوق العيون رؤاها

وراقت لنفسي شوارع مدينتي... عروستي حسبما يسمّيها أهل الدنيا ـ عروس البحر ـ وكم تحلو العروس في عين حبيبها؟! ولقد تعدو العيون لما متعنا به الله سبحانه وتعالى.. وهذا حرام في سنة البشر!! حلال وأي حلال في عالم المدن!!

وحينما راقت خرجت من توي قصدت شاطئها العظيم استنشق من هوائها اكسير الحياة والنشوة وتهب النسمات الندية على جبين طالما شاقه هذا الندى الذي يمسح عن الانسان حرارة الجو المكفهر ومن ثم شعور الآدمي بلفح الجو وقوته.. وقد عهدت ـ منذ سنين وسنين ـ طوابير الخلق تشق عباب الطريق متوجهّة الى متنفس المدينة الساحرة التي يحتضنها البحر العريق حضن العاشق الولهان المشوق لأحضان حبيبه فتشير في نفس كل إنسان غريزة الغيرة التي تدفع النفوس للتقليد وتتطلع للثم شواطئها الفاتنة لتروح في دنيا من الغرام وتحيي ذكريات العامرية والمجنون ولبنى وصفيها وبثينة والجميل... نعم فقد ملت الأنفس الحياة بين الحيطان وما فيها من جو صناعي لا تكاد تحس فيه بتلقائية المتعة وانسيابية اللذة.. والانسجام الطبيعي.

وهاأنذا أود ان ابث شوقي وامتع روحي بهذا الجو الحاني والنسيم العطوف الذي يعبث بالقلق ويفتك بالضيق ويبذر زهور النشوة بين جوانح الانسان ومن شارع الى شارع أجوب ومن درب الى درب أقصد الى المبتغى الاخير لدنيا الشوق. . .

وعلى اليمين وعلى اليسار وفي الجنوب وفي الغرب امام وخلف أجول ببصري الذي اراد ان يهرب من زحمة المدينة المكتظة بالوافدين قبل القاطنين المحليين. . وذاب الخاطر في دنيا الجمال والسحر وما تلفه المدينة من روعة وجمال المعروضات في المحال التجارية والاسواق. . فعروس البحر ميناء عظيم وسوق تجارية من كبريات الاسواق العالمية تهرع اليها البضائع من شتى انحاء العالم من البلدان الصديقة الوفية المخلصة فقط. . وبأسعار معتدلة تباع. فحرية التجارة مكفولة للجميع من اهل البلد حسب النظام ما دام الالتزام بأمانة التعامل وتطبيق النظام. . !!

شدني روعة العرض وجمال التنظيم وحاولت ان ادقق النظر لاقرأ اسماء المحلات التجارية المنتشرة هنا وهناك وعلى جوانب الشوارع والطرقات التي لا تكاد ترى فراغا بين دكان ودكان فسبحان الله العظيم فهذا مكتوب عليه «جرين» وذاك مكتوب عليه «هاي لايف» ويمينا «تريانف» ويسارا «جود لال» وعلى مرمى البصر المح فنادق هذا «شيراتون» وذاك «هيلتون» وفي مكان آخر «الميرديان» وبالاضواء المبهرة «انترناشيونال» ولافتة «النهضة أوتيل» وتنفست نفسا طويلا كله متعة وحيوية وبهجة وسرحة بخيالي أحادث نفسي: إن هذه البلاد رائعة!! وكم هي جميلة!! يا ليت لنا مثلها قبل جمالها!! مثل روعتها!! مثل نظامها!! مثل فخامتها!! مثل فتنتها!! وقلبت كفا على كف على هذا الجمال الذي ما استفدنا منه وما

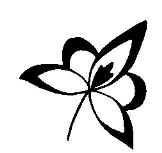
حاولنا ان ننقله إلى بلادنا العربية بلاد الاسلام بلاد لغة الضاد لغة القرآن الكريم الذي شرفها على لغات العالمين...!!

وبينما انا سابح في تأملاتي إذ اصطدمت بأحد المارين فما كان منه إلا أن عنفني قائلا: انظر امامك وتعلم آداب السير!!

ونظرت اليه فجأة فارغا فاهي: لقد عثرت على ضالتي!! عربي في بلاد الاعاجم يا هلا ومرحبا!! وبنظرة ساخرة قذف بعض الكلمات الجارحة: أنت سكران يا هذا؟! وتلفتت حولي وكأنني استفقت من خيالاتي وأحلامي وكلي حسرة.. في بلاد العرب والاسلام تغزو لغة الأجانب وتسود!! ولله يا زمن ولله في خلقه شؤون وانا اهتف:

ايا بني اركب معي ولا تكن كمن كفر

فكل عقل مرعو تكفيه هاتيك العبر



في فصل الدراسة

في فصل الدراسة وانا أحبو بين ابواب دروس النحو العربي. كان استاذنا يشرح وانا أصغي اليه إصغاء العاشق لنغمات كلمات الهوى التي تنساب من فم يفوح منه رائحة مسك طيب او عطر من اقحوان انتشر شذاه في دنيا النفس فأسكرها بذلك السياب الذي سرى في كياني سريان الروح. وانا اعشقه واحبه ذلك النحو العربي الذي وجدت في دراسته لذة ما بعدها لذة.. اذ كنت اتشوق الى درس النحو أملا وشوقا ملك عليَّ نفسي وطغى على كل امل إلا هو. وكانت اسعد اللحظات حين نسترسل في استنباط القاعدة كما يستنبط الجوعان قطع اللحم من طبق امامه يلتهمها التهاما.. وحين نعرج على شذوذ القاعدة فتكون متعة ايما متعة وأمتع منها حين يسرد لنا شواهد النحو.. إذ أجد فيها رياضة ذهنية إلى ابعد الحدود.. وما اشوقني للرياضة بشتى صنوفها لكن القدر يخط للانسان ما يشاء لا ما يهوى ابن آدم.. وتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن..

اقول هذا وانا احس يا اخي القارىء ـ او بمعنى ادق كما اتخيل أنك تهمس بين جوانحك بخلجات الاستغراب او ربما بأحاسيس

الاستنكار من هذا الذي يعشق النحو العربي وما به.. واقولها خالصة ان امتع اللحظات حين اقف الى جملة أو كلمة كي اعربها حين تكون مشتبهة على دارس.. وكأني امام لوحة من الانغام تهدهد النفس وتروح عن الروح.. والناس فيما يعشقون مذاهب.

نعم.. كان استاذنا يشرح درسا من دروس النحو.. واستخلص القاعدة النحوية ثم عرج على شواهد الشذوذ عن القاعدة... وبينما هو يعدد بعض الشواهد وكأنما هو عازف بارع يداعب بأصابعه اوتار القيثار فتنساب النغمات وتلتهمها الآذان تواقة مشرئبة وقد ذهب بها الصدى مذهبا لتسري في عقلي معنى حلوا رائعا وكأني به خمر معتقة تترك كل الأثر على اوصال الجسم فيروح في دنيا الانسجام لا يشده منها حدث مهما كان..

أقول بينما هو يعدد شواهد النحو إذا شاهد ملك منى كل انتباهي وشد خيالي وفكري ورحت في مضمونه اسبح في مدلوله ومعناه:

ربيته حتى اذا ما تمعددا
وآخى نهدا كالحصان أجردا
كان جزائي بالعصا ان اجلدا

نعم رحت من عالم غير العالم الذي كنت مشدودا إليه حرمني من لذة المتعة التي كنت احس بها في دراسة النحو. وخرجت الى عالم الواقع... الواقع الذي نعيشه ونعايشه في ايامنا هذه... يا أخي ما اظلم الانسان.. وما اكثر جحوده ونكرانه للجميل... رباه.. نعم رباه بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.. حتى شب عن الطوق واصبح يافعا يسر الناظرين واصبح قادرا على الحياة ومصاعبها ومطالبها واكثر.. أصبح قادرا بفضل الله تعالى...

ونتيجة لذلك عكس ما يتوقع اي إنسان كريم. . . كان الجزاء. . . الجلد بالسوط. . . ورحت في دنيا الخيال اسائل نفسي هل جلده بالسوط؟! فهذا أهون. . . واقول لنفسي لا يقصد بك الفهم الى حد الضرب الحسي. . . إنه قد ضربه بالسوط على جسده. . وبالسوط اللساني على كرامته!! وهل يملك الانسان إلا الكرامة والعزة؟!!

أخي فما تنتظر بعد ذلك؟! وربما لا عتاب عليه في اي تصرف كنت اردد بين جوانحي هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وكنت اتمنى ان يكون الجواب نعم لأن هذا استفهام تقريري. . ولكن للأسف كان الجواب لا. . «كان جزائي بالعصا ان اجلدا». . .

آه منك ايها النحو العربي، وهتفت بكل جوارحي لمن تمعددا وآخى نهدا كالحصان اجردا:



طفلي والمدرسة

وتوقفت عند الباب وألقيت عليه السلام.. ورد التحية بأحسن منها وبابتسامة ملؤها البشاشة والحنو والعطف مد يده الى طفلي الصغير وربت على رأسه.. وكأن الطفل احس بدفء وحنان هذه اللمسات فسقطت الدمعة الحائرة من مقلته على الأرض... وتوقف البكاء وهمس بصوت يكاد يجهشه البكاء لا تنس يا أبتاه ان تأتي لتأخذني اما الآن مع السلامة تفضل واذهب...

كان ذلك صباح اليوم.. واليوم اول ايام العام الدراسي.. وكل عام وانتم جميعا بخير... وطفلي في مقتبل عمره الدراسي... اذ انه اول عام يلتحق بالمدرسة الابتدائية.. وكله رهبة... وهكذا كل إنسان أمام المجهول حتى الكبير يحس بالرهبة والخوف وهكذا جُبِلَ الانسان... ولا اخفيكم سرا فقد اسقط طفلي شعور في نفسي فأنا اخاف عليه، وكلما سقطت دمعة من عينيه فكأنها قطع من جلمود صخر تسقط من علي على احشائي فتفتتها... وحاولت ان امسح عنه الرهبة والخوف والحياء فما استطعت لأنني احتاج لمن يمسح عني انا ما اسقطه ابني على نفسي.. وكأنه جاء بي لأمسح عنه ما يشعر به فوجدني في حاجة الى معين... سبحان الله العظيم..

ومشينا في الطريق الى المدرسة اوضح له معالمها واعرفه كيف يعود؟... وكيف يسير في مأمن السيارات ومخاطر الطرق؟! فما عاد احد يراعي احدا في عالمنا هذا وما ان وصلنا الى المدرسة حتى اذهب عنا هذا المدير بحق الحزن من نفسي قبل نفس ابني... وعدت ادراج الرياح موليا وجهي شطر عملي وكل فكري في هذا الطفل الصغير الذي يحتاج الى قدرة فائقة من العطف والحنان، فما يترعرع هؤلاء الأطفال إلا في أحضان الحنان والعطف حتى يشبوا في بيئة طبيعية فإذا افتقدوها فسد النبت وكانوا وبالا على امتنا... وهتفت من داخلي صحيح ما قاله الشاعر:

إنما اولادنا أكبادنا تمشي على الأرض.

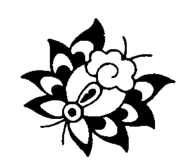
نتمنى لهم التوفيق والسداد والرشاد... ولهؤلاء المعلمين الذين تتسع صدورهم لعشرات الأطفال يرتوون منها العلم والعطف والحنان..!!

لله دركم ايها المعلمون... حقا والحق اقول: إن مهنة المعلمين هي من رسالة الانبياء والمرسلين... فنظرة اليهم ورعاية بهم واهتماما برسالتهم وعناية بمتطلباتهم وإجلالا لدورهم فهم اساتذة الأجيال ومربوا اعمدة المستقبل لكل امة...

فشكرا لك ايها المعلم يا من مسحت دمعة ابني في لحظة من لحظاته الحاسمة كما يتراءى له ولعقله الصغير بل كما يتراءى لكل عقل سليم... وشكرا لك ايها المعلم حين مسحت دمعة فلذة كبدي، اذهبت عني الحزن والحيرة ونشرت الامان والطمأنينة في دربي قبل درب ابني وإليك هديتي:

قف للمعلم وفه التبجيلا   كاد المعلم ان يكون رسولا

والى ابني الصغير: في نفس الميعاد القاك على باب المدرسة...



عودة إلى العقل

ذات مساء اسرفت في الحديث مع أصدقاء لي نجول في عالم الآراء كل يدلي بدلوه في شتى القضايا التي تقلق من عنده قلب سليم. . . فعدت ادراج الرياح مستغفرا ربي فما اعقد قضايا البشر وخصوصا قضية المسلمين وضعفهم وما آلت إليه حالهم!! وكلما جلسنا الى الاخوان نفضي اليهم ويفضون إلينا يكون فارس الموضوعات احوال المسلمين والعرب المعاصرة ومواقفهم التي يشدو بها ركب الأعداء ويزكونها ويفرحون بها. . . لقد كان حديث اليوم عن الأسلحة التي في حوزة الأمم الاسلامية. . وكان موضوعا حساسا ولا يستطيع الخوض فيه إلا عليم بخبايا اسرار «القوات المسلحة الاسلامية» آسف من هذا التعبير لأنه وهم وخيال ليس له اي صدى من واقع او ظل من وجود. . . وكم كنا نتمنى ان يكون التعبير واقعيا لا خياليا. . . أقول لا بد من دراية ومعرفة بتسلح الدول الاسلامية. . . ولكن هذا التفصيل لا نحتاجه كثيرا ونرتضي بالعموم ويكفينا للحديث عن موضوعنا. . . فكلما قالوا الجواب يظهر من عنوانه فكذلك كفاءة التسليح الاسلامي يظهر من واقع العصر الحاضر. . . وتعترينا جميعا حيرة والم وينفض المجلس على لا شيء. . وعدت الى حجرتي اتحسس المذياع لعله يشدني من بحار

الهواجس وادير مفتاحه فإذا بصوت ملائكي يخرق الاسماع ليستقر في الفؤاد كأنه البلسم الشافي حين قال تعالى: واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم اللهيعلمهم. ﴾.واطمأن قلبي حقا.. الا بذكر الله تطمئن القلوب... لقد عرفت موطن الداء وسر البلاء وضحكت ضحكة كلها السخرية... من نفسي ومن جلسائي حين طرحنا على بساط البحث هذا الموضوع ولم نقف على موطن البلاء... انه بسيط جدا ولكن لما نفهم آيات الله حق الفهم ونضعها في مواضعها الحقيقية.. لقد قال تعالى:﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل... ولم يقل واعدوا لهم ما ارادوا من قوة ومن رباط الخيل... وخرجت من اعماقي كل تعبيرات الأسى والحسرة التي عرفتها معاجم اللغة العربية وما أكثرها... وحينها علمت اننا نتسول في دنيا الذئاب نستجدي ونستعطف... صورة مقززة اعادت الى خاطري ايام كنت طفلا واسمع حكايات تضحكني ولم لا وتفاهات التصرفات تأخذ بلب الأطفال؟!! فحين يقول المهزوم المقهور للمنتصر الفائز القوي القادر يقول: لو امهلتني أقوى مثلك لهزمتك؟! آه من خزي يلف كل كريم... حين نرى من وهبه الله العقل الثمين يلجأ لغابة الذئاب الضارية المشغوفة بالافتراس ويقول لها: هبيني اظافرك لادافع بها عن نفسي اعدائي!!!

فتسخر الذئاب وتعطيه قلامات الاظافر البالية فيعود الى دروبه الضائعة ليحكى انتفـاخاً صولة الأسد...

هذه حالنا وقفت عليها حين رجعت من مطارحات عقيمة بعيدة كل البعد عن عبر الأولين وسير الغابرين من قرآننا العظيم ولما عدت

الى منزلي وتقلصت نفسي من عالمها المادي لترتمي في احضان النور الالهي عرفت درب الحقيقة واستضاءت بنور المعرفة.. فهل يستوي الأعمى والبصير؟! وهل تستوي الظلمات والنور؟! كلا؟! وهل يعقل ان يعطيك مصارعك سلاحا تقوى به عليه؟!

فمتى نعد لهم ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل مصدره من انفسنا نحن المسلمين لا نتسول من دكاكين العالم التي لا تعرض إلا الغش... ونظرة الى واقع الامور بعقل سليم يستطيع الوليد ان يحل معادلتها... إذ كيف يعطيك عدوك سلاحه لتضربه به... الا من عودة الى الوعي...!! الا من عودة الى العقل!! الا من إنصات لنداءات الله العظيم!! الا من عبر الاولين السابقين!! الا من سفينة كسفينة نوح تحوي بقايا الشرفاء من ارض الله حين يستجيبوا لربانها حين يصرخ في صخب الدنيا:

أيا بني اركب معي ولا تكن كمن كفر
فكل عقل مرعو تكفيه هاتيك العبر



تعملقت الأقزام

لفيف من الأصدقاء اجتمعنا نتجاذب اطراف احاديث الالفة والمحبة.. وساقنا الحديث الى مناح شتى من الافكار اغورها، حديث السياسة واختلفنا واشتد الاختلاف وحاول كل منا جاهدا ان يدافع عن وجهة نظره في اعتى مشكلة تواجه شعبا من الشعوب ألا وهي مشكلة فلسطين والقدس.. القدس الشريف الذي تهاونا في حقه وبكينا لما آلت اليه حاله وبدأنا.. والله اعلم بالخفايا ومكنون الضمائر - نقف على اول الطريق.. واستعرضنا مواقف المسلمين والعرب الايجابية والسلبية المشرفة والمخجلة الصائنة للامانة والكرامة والخائنة للعزة والإباء... وطال الحديث وتفرع وكان كل رأى في طريق... وضحك صديق لنا يجلس - كما يقولون - يشتري ولا يبيع وقد طبق مضمون درر الكلام «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» وإذا به يقول يا اخوان قالها الامام محمد عبده رحمه الله بعد ان ذاق ويلات السياسة، لعن الله ساس ويسوس ومادة سوس يعني كل مشتقاتها... فضحك الجميع وهتفوا من كل اعماقهم.. رضينا بالامام إماما...

إلا انني آليت على نفسي إلا ان امعن النظر فيما دار من حديث.

وكلام الامام على العين والرأس لكن الحقيقة نورها فوق كل شيء لا تخفيه بوارق الزيف والتضليل ولا تعمى عنه عيون حباها الله نور اليقين.. وركبت سفينة الرشاد والمنطق ابحر في خضم الاحاديث التي طرحت واغوص في اغوارها واحدق ببصيرتي في احوال أمتي واستفتي قلبي ولو افتاني الأصدقاء ومهما كانت الثقة بيني وبينهم.. فهالني الامر وقلبت كفا على كف فما اسهل الامر وما ايسره وما اوضحه لذي عينين ولسان وشفتين ولمن هداه الله النجدين.. وكم كنت اتمنى ان اقتحم العقبة. وما ادراك ما العقبة، إن هي الا ضياع في غيوم الواقع وبحث عن الحقيقة... فمن ضيع هذي القطعة من وطني؟! من ضيع القدس؟!ومن يتهاون في الدفاع عنها حتى اليوم؟! وهل هذه العنتريات من الأعماق ام ضجيج إناء فارغ؟!.. ولم يذهب بي الدهش كثيرا ابدا... اذ تلفَّت حولي فوجدت ورمقت الوجود المشرقة كما يعتقدون في انفسهم القميئة كما تتراءى لي.. ولمحت فيها كل إجابات الاستفسارات التي حيرتني والتي اودت بالامام رحمه الله ان يلعن مادة «سوس»..

هذه الوجوه هي صورة وطني وامتي.. هي انعكاسات للدويلات المترامية على اديم الحياة لا تربطها رابطة ولا توحدها كلمة ولا تجمع مشاعرها مصيبة ما جعلني اقول للشاعر كذبت لما قال:

إن المصائب جمعنا المحبينا

قد كان بوسعك ان تقول: إن المصائب فرقنا المحبينا.

لقد اختلف اصحابي في النقاش حول مشكلة القدس وفلسطين واخذوا يعالجونها من رؤى بعيدة عن موطن البراء وألقوا الاتهامات جزافا.. وغاضوا في لجة البحث عمن اضاعها واي شعب ضحى

اكثر وهذه الحرب افضل ولولا كذا كان كذا. . حين ذلك ترحمت على الامام لقد ذاق كثيرا فقد عرفت لماذا لعن ساس ويسوس وهمست في نفسي لو قدر له ان يبعث من جديد في حاضرنا للعن ساس ويسوس الى ان يرث الله الأرض ومن عليها. .

فقد تسوس الجهول وتسيد الخنوع واستأسد الهر ولكن في غابة من الفئران وحين يصول الأسد الحقيقي يهرب الهر قبل ان يهرب الجرذان.



الإناء الفارغ يبعث الضّجيج

«تمخض الجمل فولد فأرا» حكمة والحكمة دستور التجارب في حياة بني البشر، حكمة... والحكمة غيدق!! وقالوا قديما «الإناء الفارغ يبعث الضجيج» لو سألتم مضمون الحكمة ما كلفتم انفسكم عناء البحث عن مضمونها... ولو تلفتُّم حولكم من واقعكم لحفظتم عليكم حياءكم من ذلة المسألة.. فكيف الظمأ.. والماء ينساب من حولكم زلالا... نعم تمخض الجمل فولد فأرا... وتعجبون إذ كيف يكون ذلك؟! واذا شرحت يطول شرحي فأحجم عن إفصاحي...!! ويشير عزيز علي ان ابوح وافضي ما خزنته النفس حتى لا يتضاعف الألم وتزداد التباريح. فاسمعوا وليكن مع كل منكم لعقات من صبر يطول تأثيرها حتى لا تضيق الصدور بما ستحمل كما ضاق صدري حرجا.. فرحت أسأل عن الصبر إذا كان يباع فضحك من خلق الله لما ناديت:

فبادروني: واصبر وما صبرك إلا بالله يا هذا ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق.. حين يغرقون..!! ألا بذكر الله تطمئن القلوب..

فهذا ما جنوه على انفسهم وما جنى احد عليهم. . . فسألتهم: فما ذنبي لما ضحكوا عليَّ وتابعتهم وكلي فخر وعزة وكبرياء؟!

فقالوا وكأن الزمان خلع عليهم مسح الحنكة والخبرة والتجارب: لم يضحكوا عليك ولم يقصدوا لانهم توهموا هذا، وخيل اليهم انهم قادرون فحينما يفقد العقل توازنه، وتذوب النفس في دنيا الخداع فقبل ان تخدع ذاتها تخدع الآخرين وهذا مكمن البلاء. . . !! فقلت لله الأمر حين سرت مع السائرين إمعة وقد ألغيت كل تفكير او همسة تدبر او لمحة تعقل. . . وقد علت الحناجر بالهتاف. . عائدون. . . عائدون. . . عائدون. . الى حضن المعالي عائدون. . . الى ارض القداسة زاحفون!! فلا تأسى فإنا قادمون. . . !! فرحت انشد معهم ومع كل حرف يخرج تخرج احاسيس العزم والتصميم فبعد قصير من الوقت تطهر ما دنسته الايام وما فعله اهل الزمان الفاسد. . . ويسعفني قول الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا!!!

وسبقت بأحلامي لحظات الحاضر والمستقبل وأبني قصورا من خيال فها هي فلول الظلام ستندحر امام زحف نور الصباح الجبار الذي صحا من غفوته ماردا عملاقا يزلزل الدنيا هتافا وما هي إلا لحظات وأنا اهتف. . . ! تقدم ايها المارد الجبار!! تقدم ايها العملاق!! اعد امجاد ماضيك العريق!! اعد تاريخنا الزاهي!! اعد امجاد ايام الرشيد!! اعد احلام ذياك التليد. . !!

وأسمع صدى زمجرة المارد الذي خرج من القمقم. . سنحطم الرجعية وتمزق التجمعات التصفوية وندحر فلول الانهزامية ونكسر شرور الاستسلامية فقد زحفنا في مواكب تقدمية ترفع راية

الديمقراطية الشعبية في زورق الاشتراكية من ثورة جماهيرية وزحف الموجات الشعبية لتحقيق آمالها التطلعية وعفوا ايتها اللغة العربية سشريك بألفاظ انطلاقية في سرعة فورية لنضمد عجزك في البرية وهذا من فضل صحوتنا العربية وبينما انا كذلك واذا بيد تهزني هزا فتنبهت فإذا برفيقتي وفي مقلتها دمعة وبجانبها طبيب وشيخ اريب يقول:

أيـا بني اركب معي ولا تكن كمن كفــر
فكــل عقـل مــرعــو تكفيـه هـاتيـك العبـر



النّاصح الأمين

سئمت رتابة الحياة في بيتنا الكبير.. الكبير جدا.. وعلى وجه التحديد الكبير حجما... ولست ادري أهو الكبير قدرا؟! نعم.. هو الكبير قدرا بمحله... لا الكبير قدرا بمحليه ولست ممن يستهويه قول المجنون:

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

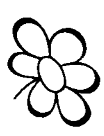
واقولها محتجا مصعِّدا احتجاجي عنان السماء.. ان حب الديار شغفن قلبي وليس حب من سكن الديارا... ولكني اراجع نفسي التي جبلت على المحبة ونزع البغض والشحناء من نياط القلوب... فأقول إنني أيضا احب من سكن الديارا.. لا!! بل أريد ان أكون دقيقا في تعبيري خشية حساب رب عظيم حيث يقول في كتابة الكريم ﴿وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ لذا اراجع نفسي واقول بكل امانة إنني اشفق على من سكن الديارا...

عشيرتي.. واهلي.. سئمت رتابة الحياة في بيتنا الكبير الكبير جدا جدا وسئمت القيل والقال.. والعنتريات وتجرع ذكريات الماضي.. لذا همت على وجهي في ردهات اطلال البيت الكبير

العظيم الذي نسكنه ونعتز به أيما اعتزاز!! كما سمعت!! وكما يقول الشيبة قبل الشبابة ورحت اقلب وجهي في جنبات القصر في لحظة شفافية الروح وخلوص النفس من ادران حياة الواقع المسكر المخدر الخداع... فوجدت اطلالا قديمة وأثمالا بالية وحيطانا آيلة للسقوط.. وأنفس اعمتها الحماقة.. ظلت تغني وتغني للماضي الأشم.. وألمح في جانب عن جوانب القصر رجلا توسمت فيه العقل والحكمة... وتوسموا به الخراقة والحماقة.. فاقتربت منه ودموع تنهمر من عينيه... وكأن قلبي به سهام دامية.. فدموع الرجال عزيزة.. ولا تذرف الا عن الم دفين وحزن عميق... وسألته.. ما يبكيك ايها الناصح الامين ـ وهذا حكم قلبي وانا اصدق قلبي وما ادراك يقول الامين ﷺ استفت قلبك ولو افتاك الناس ـ فقال ونغمات الحزن تنساب مع كل حرف من حروف كلماته المغموسة بآهات الحرقة والأسى: ليت قومي يفقهون.. انصرفوا عن صيانة قصرهم.. فتقادمت عليه الايام وعبثت به يد البلى.. وقالوا تراث الأجداد.. نريده كما هو لا تعبث به يد العصرية فنحن نعتز بماضينا... وأرى قصرنا المنيف بالأمس ـ اراه خرابات اليوم... وراح الشيخ يبكي ويبكي ويبكي... على أمة تفنى وكلهم يلعبون... يلعبون بأوهام شغلتهم.. شغلتهم عما يحييهم الى ما يفنيهم.. وماذا ننتظر ممن يجافي عقله ويهيم وراء ضالات لا اصل لها ولا قيمة.. ولمحت من على بعد شابا غرا دفعه الفضول الى التمرد!! وتحرك تجاه نافذة القصر المنيف وثورته في الاعماق دفعته بسرعة ليفتح نافذة القصر المنيف فرأى النور يشع في كل مكان ورأى قصورا اعظم وابهى جمالا وأرقى منظرا وافخم ترتيبا. وحياة كلها تروق له ولأمثاله ممن تحركت في نفوسهم سآمة قبيحة تدفعهم الى التهور... وما ادراك حين سطع نور مبين في

عيون الفت الظلام... وشدَّه هذا الزخرف وشدَّ أمثاله كثيرا ـ وساعتها شعرت بحزن دفين لما استعادت مخيلتي صورة الدب رافعا حجرا ضخماً ليقذف به ذبابة تقف على وجه صاحبه. وارتسمت على وجهي ابتسامة الحزن واقشعر بدني... ورحت امسح على جبين الشيخ النصوح واقول.. إن مع العسر يسرا.. إن مع العسر يسرا... لما اسمعته يهمهم وينادي على ذلك الشاب المتمرد:

أيـا بني اركب معي ولا تكن كمن كفــر
فكــل عقـل مــرعــو تكفيـه هاتيـك العبر



تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

قابلته رجلا قد خط الشيب مفرقه ورسمت الأيام والسنون على جبينه علامات لا يجهل بشر مدلولها ولا يحار شخص في تفسير معانيها!! فإن دلت على شيء هذه التجاعيد التي حفرها الزمان في جبينه وخطتها مسيرة الايام على وجهه فإنما تدل على تكاثر الايام وتجمع السنون وتزاحم التجارب.. نعم وقفت امامه وقد شدني الماضي العريق الذي فاحت به ذكريات تاريخنا المجيد فأصبحت أرى كل طاعن في السن مثلا لماضينا التليد وقفت امامه لاشتم منه رائحة الذكريات العذاب التي افتقدناها في حاضرنا... فألقيت عليه السلام والتحية ولست ادري ما الذي بعث في نفسي نوعا من الحياء او قل من الاكبار او قل من الاحترام ولا أجد غضاضه حين اعير التعبير الصريح نوعا من الرهبة!! ورد بصوته الذي يحكي قصة عمر طويل بهذه النبرة التي ترن بالعظمة والجلال.. رد التحية بأحسن منها... فانبعثت في نفسي كل احاسيس الراحة والرضا والطمأنينة وقلت في نفسي اذا لم يرد هذا... بهذه التحية فمن لها؟! وتجرأت واقتربت منه لاقف امام رمز للعظمة التي يحكيها هذا الكيان الذي يقف امامي بكل احترام يحكي قصة تاريخ عظيم وعصر من أزهى عصور الحضارة الانسانية!! فسألته من انت؟! فقال

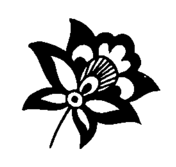
بكل فخر واعتزاز!! أنا ابن هذه الأرض.. ارض النور ارض الحضارة ارض السلام والاسلام!! فقلت له لماذا جئت اليوم؟! وما دفعك الى الخروج لهذه الحياة التي تعج بالزحام في كل شيء!! فقال صدقت لقد خرجت من معتزلي لاقف على مدى ما وصلت اليه الحضارة والمدنية في عصركم يا سبحان الله العظيم كنا وكنا... واليوم اصبحتم على خير ونعمة يا لها من ذكريات.. ولكنها لا ينبري الجبين لانها مليئة بالكفاح والجلد من اجل الحياة والمبدأ.. واراكم قد بلغتم شأنا كبيرا من الرقي في شتى المجالات.. فتبارك الله حين اعطى وحين منح.. فقلت له وما فكركم وثقافتكم قال كانت بخير واعتقد انكم قد حصلتم اضعاف اضعافها فروعة المظهر حتما تنبىء على جلال المخبر!! فقلت والأخلاق... فقال الحمد لله على كل حال كل اوان وبه الطيب والخبيث لكن كانت الشهامة والكرامة والخلق الرفيع وكل المعاني الحلوة التي ورثناها من الاسلام ولا ينفي هذا وجود بعض الصفات القبيحة والطبائع الرديئة وهذه سنة الحياة وظني انكم قد احييتم هذه السنة من اروع اشكالها والوانها...

فقلت والعلاقات الاجتماعية.. فقال على خير ما يرام فنحن عرب مسلمون ولا اراني في حاجة الى التفصيل والايضاح... فقلت والعلاقات الأسرية فقال احترام متبادل ورضاء من الزوجة واعتقد ان رقة العصر قد طبعت حياتكم بطابع الرقة على عكس الصورة التي كنا نعيشها.. فقلت وما الزواج فقال شيء طبيعي لا يمثل مشكلة فقد كنا نستن سنة رسول الله ﷺ في اختيار الزوجة الصالحة ولا نتغالى في المهور ويشترط الأهل في الزوج ان يكون غني النفس والخلق لا غنى الجيب وأحسبكم بما بلغتموه رياش ووفرة في المال اوسع افقا واشمل نظرة فلا نتظرون الى المادة...

فقلت له.. وعلاقاتكم فقال يسودها الاحترام بين الاشخاص والافراد والحكومات والشعوب وهذه صفة غالية وخصلة حميدة اورثها لنا ديننا الحنيف الدين الاسلامي العظيم..

ثم اردف قائلا ايها الحفيد قد انهلت علي بالأسئلة والاستفسارات بل كان من الواجب ان اسألك انت وكان من الواجب عليك ان تقرأ عنا في الكتب لتعرف الكثير والكثير... فبادرته قائلا مستفسرا وهل تحدثت عنكم الكتب؟! وما ان انهيت قولي حتى بادرني بنظرة كلها الأسف والحيرة وقال كيف تقول ذلك ايها الحفيد وانت من عداد المتعلمين في البلد ويشار الى ثقافته كما اعلم ولا تعرف عنا شيئا حسبتك تستفسر من تحصيل حاصل للتأكد وليطمئن قلبك.. فقلت له صدقني ما اعلم عنكم الكثير وكذلك ابناء عصري فلا يعرفون اكثر مما اعرف وربما اقل الا النذر اليسير فما لنا نتعب انفسنا بالإطلاع على سير الغابرين... فقال والأسى يقطر من فمه في كل حرف من حروف كلماته على الدنيا العفاء فإذا كان تفكيركم هكذا.. ضحالة في الفكر وضحالة في الثقافة فكيف اموركم الأخرى لعلها اسوأ مما كنت اتصور فمجتمع ضحل بينه وبين الثقافة والاطلاع سياجا من الاهمال والعزوف عن الثقافة مجتمع فقد كل معاني الأصالة والعراقة... مجتمع محكوم عليه بالضياع فالله معكم ومعينكم على بلواكم... وسلام الله يا ولدي. فقلت الى اين ايها الماضي العزيز فقال.. إلى حيث كنت... الى ماضي الزمان وما كنت فيه أهون عليّ من ان اطلع على حاضري الذي انقطع عني واصبح صورة مغايرة تماما لما كنا عليه وما عقدنا عليه الأمل.. فقلت حقا اصبت يا والدي ونعدك بأن نحسن الصورة ونكون عند حسن الظن فقال افلح إن صدق... ولكن من يسهل عليه النزول يصعب عليه الصعود... ومضى ومضيت وراءه بألحاظ

تملؤها عبرة ما زالت تتأرجح في المآقي حتى ذاب في دنيا الزحام وذابت هذه الدمعة الحيرى وانا ابحث عنها واتحسسها على الخد بأنامل مرتعشة اعثر عليها فنظرت الى الأرض امامي فوجدتها ذابت في التراب كذوبان احلام هذا الماضي الذي اراد ان يسعد بالحاضر وقد أتت الرياح بما لا تشتهي السفن..



إذا كان رب البيت بالدف ضاربا

ولم اصدق ما أرى. . . !! ولِمَ لا أصدق وقد رأيته رأي العيان؟ فليس من رأى كمن قد سمع. . في مقتبل عمر الطفولة. . وكأنه شيخ كبير ملأ الدنيا طولا وعرضا وعزا. . يمشي في خيلاء العظماء. . يبدو عليه عبث الطفولة. . غير مهندم في ثيابه ولا استكثر عليه ذلك فما زال في حوالي الثامنة من عمره. . يجري مرة اذا استدعى الامر ذلك ويخفف الخطو كثيرا اذا شدَّ انتباهه شيء. . . وكلما سنحت الفرصة رفع يده الى فمه ليمتص نفسا من الدخان إذ ان انامله الضعيفة تحضن حضن الشوق سيجارة!!!

يا إلهي!! عجيب غريب امر هذا الطفل. . وتخرج حلقات الدخان الأغبر مرتفعة الى أجواز الفضاء لتعانق لتعانق مثيلاتها المتصاعدة من افواه الآخرين. . وكأني بها حين تعانق بعضها بعضا تبث كل واحدة منها شجون آلامها او انغام احلامها فهذي من فم عطر وتلك من فم قميء. . هذي اختلطت بلآلىء ناصعة وتلك تمرغت بين أسنان كجذوع النخل الخاوية او كالعرجون القديم. . هذي من مصتها لمى حسناء فاتنة وتلك لاكتها شنافر بعير آدمي. . . أشجان وآلام صاغتها اعمدة الدخان المتصاعدة من افواه

العاشقين؟! عفواً حين استعير هذا المغنى الجميل من دنيا العشاق الى دنيا الدخان... اعني عاشقي السيجارة...!! وأي عشق هذا انه هيام بالمعنى الحقيقي لا المعنى المجازي. والهيام مرض.. نعم مرض يصيب الإبل في الصحراء... صحراء الضياع لهؤلاء المساكين... دخلت مرة قارباً في حلقوم احدهم وانتهى بي المسير الى الرئتين فوجدت ليلا احلك وقتامة ما بعدها قتامة ورائحة اقضت مضجعي وانا اقرأ عما يصيب الرئتين عند المدخنين وقال لي صديق لا تعجب وانظر إن غشاء الرئتين ارق من ورق السيجارة فانظر ونفخ عليه الدخان فتغير لونه من توه الى قاتم.. مسكين هذا الانسان الذي يقتل نفسه كل يوم مرات ومرات.. واذهبوا الى الطبيب واسألوه عن مضار التدخين... واسمع واحدا من المدخنين ينصح مدخنا آخر بالاقلاع عن التدخين فضحكت وقلت له اما سمعت قول الشاعر:

وغير تقى يأمر الناس بالتقى   طبيب يداوي والطبيب مريض

فاستحى وقال: اردت ان انصحه من خلال تجربتي

فقلت له اما سمعت قول الشاعر:

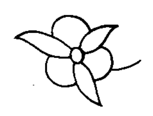
لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك.. وإن فعلت عظيما

فأدار وجهه مستحيا وصمت... وقرأت في التفاتته كل معاني الخجل والحياء... وقلت في نفسي اولى به ان يستحي من نفسه ومن كان بيته من زجاج فلا يلقي الناس بالحجارة... وأعود من استطرادي هذا الى الطفل الذي هيج اشجاني ورماني في خضم التفكير أضرب خماساً في أسداس... مسكين هذا الطفل ولكن؟! كيف لي ان انصحه؟! واقتربت منه وكلمته فضحك مني وسخر

وولى مدبرا!! ورحت الوم نفسي لماذا تقحم نفسك مع الصغار؟!
لقد تغير الزمان وما عاد الصغير يستمع للكبير. . وما عاد الكبير يحنو على الصغير فتحول الصغير كبيرا وتحول الكبير صغيرا وتبدل الزمان وتغيرت الأحوال فسبحان من لا يتغير ولا يتحول. . .

ولما ذهب بي الدهش مذهبا قلت في نفسي ليس على هذا الطفل من عتاب ولا لوم وله الحق. . كل الحق فيما يفعل ولا ينبغي مطلقا ان نمنعه من التردي في الخطأ:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة اهل البيت كلهم الرقص



ثورة العصافير

اذكر ذلك اليوم جيدا.. يوما احداثه محفورة على ضفاف الخاطر. وذكراه ماثلة على شواطىء الفكر إذ كيف انساه وهو عبرة من عبر الايام... وما اعظم العبرة التي تعيها النفس ويقف عليها العقل. وربما يستوحيها الانسان من احداث عابرة كثيرا ما تمر على غالبية بني البشر لا تسترعي انتباههم. ولا تستوقف تفكيرهم امامها.. لكن يومي هذا الذي استوقف مشاعري واسترعى انتباهي يوم عزمت على القيام برياضة ترويحية بين الرياض الغناء وبساتين بلادي.. رحت امتع النفس بأبهى مرأى وابدع صور خلقها الله تعالى.. صور الزهور والاشجار والخضيرة الدائمة اليانعة.. وبلادي بالتحديد كل بلاد المسلمين التي تتوجه إلى قبلة واحدة محلها مكة المكرمة حين ينادي المنادي داعي الايمان من اعماق القلوب بكلمة التبجيل والتعظيم الله اكبر الله اكبر. هذا النداء الذي تهتز له اركان كل من يخشع قلبه لذكر الرحمن سبحانه وتعالى...

فحينما تهفو النفس الى تغيير الرتابة التي عاشت عليها تبحث عن جديد لتقطع به حبل الديمومة الى التغيير والتبديل. او حينما توغل

النفس في الايمان وتتلظى شوقا للذوبان في كون الله تعالى عبادة وتفكرا. . يومها مشيت احدق يميناً ويسارا واسبح واحمد الله تعالى على نعمائه واشكره على فضله فكما جعل اختلاف الفصول لمتعة النفس جعل تباين الطبيعة لفسحة الروح ونزهة العقول وترويح القلوب. . اقول إنني اذكر ذلك اليوم جيدا. . يوم احداثه محفورة على ضفاف الخاطر وذكراه ماثلة على شواطىء الفكر اذ كيف انساه وهو عبرة من عبر الايام. . . وما اعظم العبرة التي تعيها النفس ويقف عليها العقل. . . يومها قعدت اذكر الله وانزهه على هذه النعمة نعمة المعرفة. . نعمة الايمان. . نعمة الاسلام نعمة التكريم حيث يقول تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس. . واخذت ادعو الله تعالى عسى ربي ان يهدي قومي فتصفوا قلوبهم كصفاء طبيعة بلادهم ويعرفون الطريق وليس بغامض عليهم والنور بين ايديهم. .

لن انساه ابدا ذلك اليوم. . يوم أن كنت مستغرقا في تأملاتي للطبيعة الساحرة لبلادي مرة وفي تأملاتي في احوال بلادي وظروفها وما آلت اليه مرة اخرى. . . وشدني من هذه التأملات ذلك المنظر المحزن الذي ظل قرحا في قلبي ينزف حتى يوم الخلاص. .

على حين غرة سمعت مدهوشا شقشقة عصافير كثيرة وزوبعة من الطيران جيئة وذهابا وتحوم في كل مكان وكأنها ثورة مروعة ودققت الانتباه لعلّي اقف على سر هذا الاحتجاج الصاخب. . فوجدت في مركز التحويم طفلا صغيرا قد امسك ببعض صغار العصافير هذا ما اقعد الدنيا واقامها وكأن جميع عصافير الحي خرجت بهذه الصورة المحتجة لتعيد ما سلب وخشيت العاقبة. . عاقبة هذا السطو. . . فهذه الثورة العارمة وهذا الصياح المروع وهذا التهديد المخيف يؤذن بدمار محقق لهذا الصبي الذي يلعب بالنار ولا يقدر عواقب

فعلته.. عواقب سرقته... عواقب اعتداءاته... ساعتها قلت في نفسي: ليت للعرب والمسلمين مثل هذه العزة والكرامة.. إذ ان هذه الطيور الضعيفة توحدت مشاعرها امام هذا الاعتداء على امن صغارها وأعز ما تملك!!

وأخذت اترقب وانا كلي يقين من ان السليب لا بد وان يعود ولا بد من ثأر لكرامة المظلومين ولا بد من عقاب مؤلم وقصاص عادل.. وأخذت اترقب بخيالي عاقبة هذا المعتدي الأثيم الغر.. وأتخيل ما سيحل به من جزاء ربما تفقأ عينه ربما يمزق إربا إربا.. ربما...

ولكن لم يذهب بي الخيال بعيدا حتى رأيت الطفل ينصرف ومعه صغار العصافير.. وما تزال صولة الكبار وجمهرة المحتجين حتى انفض كل شيء ولاذ الطفل بالسطو وباء اصحاب الحق بالخزي والعار... وما زال صدى ثورتهم تردده الأصداء حتى... زال في كون الفضاء الذي لا يحد... لأنه لا يعدو صراخا وعويلا...

ساعتها عضضت انامل الندم وقلت يا ليتني ما دعوت ربما كانت ابواب السماء مفتوحة فاستجاب الله لدعائي أن تكون لأمتي مثل صولة العصافير..

اقول اذكر ذلك اليوم جيدا.. يوما احداثه محفورة على ضفاف الخاطر.. وذكراه ماثلة على شواطىء الفكر اذ كيف انساه وهو عبرة من عبر الأيام وما اعظم العبرة التي تعيشها النفس ويقف عليها العقل...



والدّنيا تضحك

والدنيا تضحك ضحكات من نور، والكون يغرد ألحان الشجو المخمور، وترانيم هوانا في كل بقاع الدنيا إبداع وزهور، أصداء اللحن عبير في دنيا الله وورد وزهور، تتمايل أغصان البان سكارى تنشيها خطرات المجد المغمور وتغني بالعز حصاد الدنيا!! يا أشرف قوم الأمجاد.. وكأن عبير الامجاد ضياء منثور واذا كل الدنيا تتوقف وكأن النافخ في الصور تحفز!! وتعالى الوله على مقل تتأرجح وتمور... وصراخ قد مزق أحلام الجب وفتت أوصال المجد... وهناك على هامش أسفار الخلد تربع شيطان الحقد وتميز غيظا يبتسم فقد آن أوان الجد، وبوادر سعي في حقل الافساد تلوح... وقسمات الوجه الشيطاني تشير وتُلمِّح... لا غرو.. سأعلمكم من هذا؟! ولماذا يقف على هامش اسفار الخلد ليمحق كل بناء الحب ويطفىء أنوار الوُد.. ويسود اشراق الأمل لكل طموح في أرض بلادي وينثر أطنان الحزن... وربوع بلادي بكر وخصيبة، قد تبيت فيها من كل مصيبة. فالنار تشب لهيبا في حقل القطن الأبيض او يزداد اوار النار اذا اذكتها قطع حرير ناعم!! لا تدهش إن كانت ارض الربع خصيبة فالحسناء كثيراً ما تحمل قردا بين الأحشاء!!

والزهرة تغريك كثيرا فإذا ما همت نفس الانسان لينشق منها اعطار الحب يخيب الأمل. . !!

يا ابن الانسان تلفت وتجاه الأقداس تحرى لتدفق إحساس القلب لتعرف اسباب حلول الشيطان بجنة مجد الانسان!! لتعرف كيف تجرأ هذا الصعلوك طريد فضائل دنيا الله؟ وكيف تسلل في غفلة هذا المجد. . ؟! فلماذا يغفل هذا المجد والغفلة درب ضياع، وبداية اوجاع.

لو كنت ذكيا يا ابن الأمجاد لن تلقى اية حيرة حين تفتش عن سر بلاء قد حلَّ بأرض الامجاد. فتش وتدقق وتأكد. . . فعلى هامش اسفار الخلد تربع شيطان الحقد ليرقص فرحا. . قد خاب بناء المجد وضاع القلب وتفتت مقل اضناها تفريط. . سيظل شنارا فوق جبين تراث الامجاد. . وحين افاق القوم من غفلة إفراط أو غفوة تفريط خرجت افواج قد باعت دنياها والثمن بقاء الامجاد وملك لا يبلى!! قد قالوا والقول صحيح ما قالت فيه حزام فبشراك غضب الحقد حين تجلت انوار الفداء وعلت في الافق صيحات جهار لا يفتر وصياح الحب المسكين يمزق اوصال القلب ويعرك افهام اللب. . وحين تحفز جيش جرار وخميس مغوار يتسلح بسلاح المجد وزاد الود. . ونداء النصر يجلجل من كل صوب وكل حدب ومسيرة جيش الاسلام تولي العزم تجاه الرب. . فإنا في صف الجند وساوس شيطان لتلعب بصفوف الجيش المغوار وتلفت قواد من جيش الاحرار والثوار وصاح كبير منهم. . يا للعار يتوجب تأديب الفجار قد خرجوا من صف الأبرار وانحازوا في صف الفجار. . فهيا عقلاء القوم فمن يخرج عن صف المجد يحق عليه القول فيدمر تدميرا. . .

وما زال صياح الحب المسكين يمزق اوصال القلب ويعرك افهام اللب قد اوشك ان يفرق يا قوم الامجاد لهفان يصرخ في طلب الغوث. . . ونداء من كبراء الأمجاد من صف جيوش الأبطال يجلجل لا تأسى فالدرب قصير والغوث على أهبة الاستعداد لا تقلق يا غرقان سننظف جيش الأوطان ونطهر رجس الاوثان ونغسل نجس الأدران حتى نأتيك على قلب واحد. . .!! أعرفتم من هذا؟! شيطان نحن خلقناه وراعيناه فاشتد عوده وطاب عنقوده ليلقم كل منا حبات تمارضه خبيثة لا يقدر ان يقاوم اغراءها وعلى الدنيا العفاء. . .

وعلمتم لماذا يقف على هامش اسفار الخلد؟! ليبطش بالحب ويخنق نور صفاء الايمان لا من دنيا الله ولكن من دنيا بشر قد الفوا التفريط فأنساهم رب الكون انفسهم. . !!

هل يأتي يوم ننسى درب الهرج وعبث الأطفال؟! هل يأتي يوم نتمثل سيرة اجداد ابطال نترسم خطو تراث في سفر قد دوِّن في ذاكرة التاريخ مواقف لا تبلى وتضيء لكل أواب حليم هل يأتي يوم نتناسى نزعة فرعون وهامان ونمد الأيدي لصياح الفرقان وتميل قلوب الانسان وقبَلِ الآذان لنداء من كل اوان.



نفحات من رمضـان

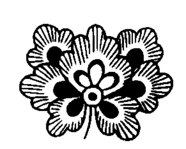
لست أدري هذا الاحساس الذي احسه الآن ، وفي هذا الشهر بالذات . . شهر شعبان . . . أكاد أحس النور يملأ كياني حقا . . !! وأحس بنفس رغبة ملحة ، ملحاحة ان اطوي الايام طيا لتمر بسرعة خاطفة . . . أحس بسعادة غامرة تهز كياني . . وكلما مر يوم ، او مر نهار ، اوليل ، اوساعة ، اودقيقة ، اوثانية ، احس بهاتف ، تغمرني نجواه بالسكينة والجلال . . . !! وأسائل نفسي اليست كلها ايام الله وجميعنا يعيشها في رحمة الله ، وفوق ارضه ، وتحت سمائه ، بيده ملكوت كل شيء ، وامرنا بين الكاف والنون . . !! نعم كلها أيام الله . . . !! ولكن هذه الايام تختلف حقا عن سابقاتها ولا حقاتها . . والله بي رغبة عارمة ان اطوي الايام طيا . . لم لا وهذا الشهر المبارك على مشارف الزمان . . يطل علينا اطلالة الجلال والخير والسعادة ، وترنو اليه الانفس مشتاقة ، مشوقة ، فلله فيه نفحات ، ولله فيه بركات . . شهر العبادة ، شهر القرآن فيه تصفّد الشياطين ، ويطلق العنان لملائكة الرحمة تملأ الدنيا رحمات . . تخلص الانفس والارواح من عالم المادة والتشاحن والارض اعدت للمتقين .

نعم يطل علينا هذا الشهر المبارك والنفس تستنشق اعطاره من ريح الغيب لانها ترى فيها الخلاص من كل شوائب الدنيا امتثالا لخالق

السموات والارض ، وترى فيه الصفاء من ادران الحياة ، وكدر المطامع البشرية فلقد تجردنا من الرغبة في ملذات الحياة ، وخطرات النزوع النفس . . فها هي البطون خاوية لا عن علة ، او داء ولكنها استجابة لأمر من الله لا ندرك حكمته الا بعضا منها فكيف لنا هذا الفهم الكلي لحكم بالغة التمام . . !! ايقدر هذا العقل المخلوق ان يفهم حكم الخالق في كل شيء ؟؟ انما هو اجتهاد فكلما اجتهدنا ـ وعلى قدر عقولنا ـ توصلنا الى جزء من الحكمة التامة . . فسبحان الله العظيم حينما امرنا بالامتناع عن الطعام والشراب ليس فقط كما يتصور العوام ، ولكنه صوم وامتناع عن كل شهوات النفس البشرية لنصعد بها الى مراتب علوية روحانية . . وكلما استطعنا ان نستغرق في هذا المعنى كلما بلغنا درجة من درجات السمو والارتفاع غير المحدود . . .
نعم انها مسارعة في عالم الرحمة والصفاء ، وهي مسابقة لا يتصدى لها الا من وهبه الله الهدى والرشاد ومعرفة الطريق . . لذا كان الصوم درجات كما ارشدنا المعلم الاول رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
وانها ايام مباركة طيبة فلا غرابة الان حين نلقى هذا الاحساس خاصة في هذه الايام فلقد القى الله تعالى من روعيتفهما لعظمة هذه الايام ، وبدأت النفس حديثها الى النفس تهيئة للدخول في هذه الاستعدادات التي تستمر فيها الروح عن ساعة الجد لتتخلص من هذه المعاني الترابية . . . (صراع ، ومشاحنة ، ومضاربة ، ومكائد ، وتعالى . . . الخ) الى اشرف المعاني العلوية الروحانية . . وما اعظمها معان . . ففيها الصفح الجميل وفيها التواضع الجم ، وفيها دفع السيئة بالحسنى . . قمة من الخلق النبيل والتهذيب في ارقى صوره واعلى مراتبه تقف النفس الشريرة الترابية امام هذه الاخلاق موقف الندم والحياء والخجل . . الا ما اعظم هذه المعاني حينما يبدر من انسان تطاول . وتجنى ان تبادره بكل سمو ، وكل خلق نبيل ، اللهم ان

صائم . . !! فيها اجمل المعاني وارق الاحاسيس واعلى مراتب الخلق النبيل والايمان العميق لو دققت فيها لوجدتها تزلزل كيان كل شرير لان فيها معنى لا يكاد يحس الا من اوتي القلب السليم وفهم الفهم الحق لمعاني الصيام . . !! نعم اللهم اني صائم . . !! فأنا من رحمة الله فهو حسبي . . . وانا في طاعة الله فهو وكيلي . . . وانا في رحمة الله فهو وكيلي . . . وانا في رحمته فهو حصني وملاذي . . . وانا في طاعة الله فهو كفيلي وعوني . . . ومن كالله حسيبا ووكيلا . . . !! .

نعم من كالله حسيبا ووكيلا فهو القاهر فوق عباده . . وهو المحب لاحبائه ، وهو العون لخلصائه ، وهو امل الصائمين . . ومطمع المخلصين لذا كان هذا الاحساس الغامر بالشوق لهذه الايام . . ولله في دهره نفحات فسارعوا الى اغتنامها لعلها تحس الخاتمة وانما الاعمال بالخواتيم وان الخاسر من بلغ رمضان ولم يفترق من رحمة الله . . . فوفقنا اللهم والحمد لله رب العالمين . . .



حساب النّفس

لا أنسى حين يلف الصمت ربوعي !!
لا افرح حين يلملم هذا العجز شراعي !!
إذ كيف اجوب لجاج الشطآن؟!! وكيف أمد إلى بر للامن ذراعي ؟! قد أنهك هذا العيش بغاب الدنيا كل معان الحب بمعجم هذا الانسان ، وحين تنادوا بالفتك ، تنادوا بالقتل وبالتدمير اخشى صراع !! لن احيا حين يجف مداد الاحساس رويدا من نوح يراعى !! او حين يذوب شعور الناس ، ويعم الكمد نحيبا في كل بقاع ! فيجف الدمع وينضب هذا الخفاق .. فكل مشاعر هذا الانسان تراءت عبثا وسرابا بل نبع ضاع !!

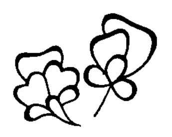
لا أثر لهذا المعنى في هذا الكون ، وهذا الكون مليء بالزيف ، مليء بالحقد وكل ضياع ...

فأسائل نفس ... يا نفس هل هذا يأس ام واقع الم نحياه ؟!
فبئس حياة بمراء ونزاع ..
هل هذا الألم يشير فكاك من سجن الخذلان وعهد سراح من غبن الاوجاع ؟! شدو
لكن اكبت ... اشدو حين يثير الحزن دموعي ...

او حين يكسر هذا الغبن ضلوعي . .
كلماتي تخرج ترثى كل معاني الحب .
تتناثر لهبا يكوي كل ركود في هذا الجنب . .
قد حل إبائي كل بيانات الشجب او حتى اسلوب الندب فقد عشت طويلا بين بطولات الاجداد ومجد الآباء سعيد النفس مستوي القلب . . .
لم أعرف يوما حين قرأت تواريخ الامجاد تلطخ هذا الدرب . .
لم اعرف حيرة مجتمع العنب . .
لم أعرف يوما حين رأيت سجلا من نور سجله الاجداد وان افولا ينتظر النور فيمحقه حقد منضب . .
ما عهدي ببلادي سيل من كل رزايا تنكب . . .
لم اعهد بين سطور التاريخ ثوان او اي فتور قد دب . .
لكن اليوم غريب امر سليلي الامجاد !!
هل مل المجد مقاما لكرام الاحفاد ؟!
ام كلوا أم ملوا السير طويلا في موكب فخر الاجداد .
ويفطر علينا حزنا كل غلاظ الاكباد !!
فبكاء وعويل وضياع وصراع وسهاد . .
لا أمن ولا مجد ولا عز ولا وحدة بل احقاد . .
احقاد في كل ربوع بلادي وعدو يتصيد فينا الشاردة وما اكثرها والجمع سكارى غفلهم طول رماد . . .
ما ان يتصيد فينا الذئب فريسته . .
فتثور مشاعرنا وما أبلغ تعبيرات الثورة حين تنفذ فينا كل خيوط جريمته . . !!
يا هذا المأتم في ربع كرامتنا هل آن لنا أن نرفع هذا الحزن ونكشف هذي الغمة ؟!

هل آن لنا أن نبحر من بر التيه الى بر النعمة ؟!
هل آن لنا أن تتوحد كل مشاعرنا نتناسى كل خلاف ومذلة ؟!
هل آن لنا ان نركل كل دواعي النقمة ؟!
هل آن لنا أن نسحق صلف عدو الله طريد الرحمة ؟!
هل آن لنا ان ننفض من صفحات التاريخ غبار الفرقة ؟!
ونواجه انفسنا قبل مواجهة عدو الله فحساب النفس سبيل الحب ومعرفة لطريق الجنة . . .

فالان انا انسى حين يلف الصمت ربوعي . .
ولافرح حين يلملم هذا العجز شراعي . . .
فالعزم شراع بل الف شراع وشراع .



بين التراث والمعاصرة

في الاسبوع الماضي التقى لفيف من الأدباء ورجال الفكر بمقر نادي مكة الثقافي . . . ليستمعوا ويتابعوا الندوة التي نظمها النادي بعنوان « الادب العربي بين التراث والمعاصرة » والتي اشترك فيها . . . الاستاذ عبد العزيز الرفاعي . . والأستاذ محسن باروم . . والدكتور ناصر الرشيد . . وفي الحقيقة كانت امسية جميلة التقى فيها الفكر مع الفكر لا ليصطدم . . بل ليناقش . . ويحدد معالم الطريق خصوصا بالنسبة لموضوع كهذا له اهميته وأثره في بناء المجتمع العربي . . والاسلامي .

فالتراث هو أساس حضارة الامة . . وتقدمها . . ورقيها . . به تستطيع الامة ان تحقق التقدم والازدهار . .

■ لقد اتسم حديث الاستاذ عبد العزيز الرفاعي بالهدوء والاتزان وسيطرة العقل والمنطق . . وكان كلامه مختصرا لامس فيه الجوانب الاساسية في الموضوع . . ولم يتعمق في واحد منها . . ولعله قصد الى ذلك قصدا . . لانه راعى طبيعة الموقف . . فتحدث عن امهات المسائل التي سيخوض الباحثون فيها . .

■ كما اتسم حديث الاستاذ محسن باروم بالحماسة للغة العربية

والدفاع عنها في وجه الدعوات التغريبية المغرضة . . غير انه اطال في هذا الجانب . . وجاء بأفكار قيمة . .

وفتح ابوابا جيدة . . غير ان بعضها ليس مسيس الصلة بالموضوع .

■ واتسم حديث الدكتور ناصر الرشيد بالعلم والتوسع وغنى المعلومات التي لم تخرج عن الاطار العام للموضوع المطروح . . وكان حديثه ينم عن وعي وتدبر وطول معاناة وحسن اطلاع على جوانب هذا البحث .

وبودي الآن ان اناقش بعض الآراء التي طرحت في هذه الندوة . . يقول السيد محسن باروم ان ابن فارس قد اخترع نظرية المقاييس في اللغة . . بينما في الحقيقة ان فكرة المقاييس اقدم من ذلك وان صانع المعجم العربي قد تنبه اليها وهي موجودة في نثار الكلام الذي عند من سبق ابن فارس .

والعباقرة عادة نوعان :

نوع كبير يوجد علما لم يسبق اليه . . مثل ارسطو . . والخليل بن احمد ونوع صغير يضم شتات كلام قاله السابقون : فينظمه ويرتبه ويبوبه ويفرع عليه . . وهذا ما فعله ابن فارس في مقاييس اللغة . . حيث كان يهتم بالمعنى العام للمقطع الثنائي الاول في العقل العربي الذي هو ثلاثي غالبا . . ويكون تكوين هذا المقطع الثنائي بالحرف الثالث تفريعا للمعنى العام الذي في المقطع الثنائي . . وضرب على ذلك مثلا في المقطع « قط » ودلالته العامة على معنى القطع وتلوينه بالحرف الثالث ليتفرع منه معان اخرى . . فظهر « قطع ـ قطف ـ قطر ـ قطم . . الخ »

■ اما الدكتور ناصر الرشيد . . فقال في هذه الندوة ان التجديد في البحور العروضية قد مات بينما الحقيقة انه لم يمت والدليل على ذلك ان نازك الملائكة قد اوجدت شعر التفعيلة من خلال تطويرها لفن

« البند » . . كما ان الخليل بن احمد قد ترك الدوائر العروضية مفتوحة . . وبامكان الشاعر الذي يملك معرفة العالم . . وذوق الفنان ان يعزف على انغام عربية جديدة من خلال تفجير الطاقة الموسيقية الهائلة التي تكمن في الدوائر العروضية .

■ اما ما ذكره الدكتور ناصر الرشيد حول موضوع تأثر العربي بأدب اليونان وقوله .

ـ انهم لم يترجموا الا كتاب الخطابة لارسطو والحقيقة انهم ترجموا كتبا اخرى مثل كتاب الحكمة العروضية بقلم ابن سينا وقصة « ابسال وسلامان » وما شابهها من القصص الادبية الفلسفية . . وذكر الدكتور ناصر الرشيد ان قدامة كان مع غياب الوعي احيانا . . والدليل على ذلك انه ترجم « التراجيديا » بكلمة المدح والرثاء وترجم « الكوميديا » بكلمة التهكم والهجاء . . وهما فنانان مسرحيان لهما قواعد واصول تختلف عن فهم العربي لكلمة الرثاء والهجاء .

■ وقد اشار الاستاذ السيد محسن باروم الى موضوع مطالبة البعض بكتابة العربية بحروف لاتينية وقال ان هذه خطوة نحو الاتحاد العالمي . . واقول هنا ان هذه نغمة ماسونية تشبه الدعوة الى لغة « الاسبيرانتو » التي شجعها الماسونيون والصهاينة . . واول معجم عربي اسبيرانتي طبع في بيروت بدعم من الماسونيين واصحابهم . .

وقد دعا السادة المتكلمون الى الاعتدال في الدعوة الى التجديد . . فنأخذ من التراث القوي والمفيد . . ونأخذ من الجديد المعقول والمقبول مما يتفق مع قيمنا ومقدساتنا . . وانا اقول . . لا مانع ان نسمح لجيل الشباب بالتجربة في ميادين الفن الجديدة . . فاذا جاءوا بالحسن قبلناه . . واذا جاءوا بالردىء لم نقبله . . ولكن مع الحرص والحذر من تسلقهم القيادة الفكرية في مجتمعاتنا كما حصل في بعض البلاد العربية . . فنجد بعضهم يقرأ لادباء الغرب والشرق ويحاول ان يتمثل

ذلك . . ويستفيد منه . . وما زال في طور التجربة . . . ولم يخرج معه شيء مما نقبله ونعقله . . ولكنه وصل بالتسلق الى قيادة الفكر في تلك المجتمعات العربية المجاورة وسلط سيف الارهاب على ابناء التراث البررة .



إلى العائدين .. وداعًا

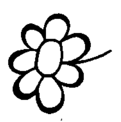
رحت أسأل عن صديق لي يعمل في حقل التعليم . . . فقالوا لي إنه في العمل . فقلت مستغربا : هذا يوم الراحة والاجازة !!

فقالوا كل عام وانت بخير ، هذا آخر العام الدراسي ، وهو ميعاد رحيل المعلمين الى رحاب وطنهم الاول مودعين وطنهم الثاني ، ليلتقوا بأهل واحبة طال غيابهم عنهم فمن تارك لزوجه ، ومن تارك لصديقه ، ومن تارك لحبيبه ، ومن تارك لجاره . . . فهي ايام وايام . . . يكثر فيها العمل وتقل الراحة لانه وزملاوءه يجهزونهم للرحيل ليقضوا اجازة هنيئة بين الاهل ورحاب الاوطان فيجددوا نشاطهم ليعودوا اكثر نشاطا واقبالا فينزاحوا من دولاب العمل لخدمة وطننا وتعليم ابنائنا . . . فقلت شكرا وسلام عليكم .. !! وتعجبت من هذه الايام وغرائبها . . . تنزع الانسان من بين احضان اهله ليلتقي بأهل وفلان لا يغنى حبيب عن حبيب .. وما اثار اشجاني وحرك مشاعري انني كنت في يوم من الايام مثلهم حينما كنت اغترف العلم والمعرفة واحصلها من جامعة القاهرة .. كنت اودع اهلي هنا لارتمي بين احضانهم هناك بمصر ولما ينتهي العام الدراسي كنت اعد العدة واجهز نفسي واعد حقائبي واودع اصدقاء وخلّانا وزملاء وكأني انتزع نفسي منهم انتزاعا .. فما اعظمها تلك المشاعر الحلوة النبيلة التي يحسها

الانسان حينما يودع اهلا للقاء اهل ويترك اصدقاء ليلتقي بأصدقاء ، ويودع موسما من العمل الشاق المخلص ليلتقي مع ايام العطلة في اسعد حال بعد حصاد عام . . . تلك الظروف جعلتني امسك بالقلم لأخط مشاعر كلها احترام واجلال واكبار لهؤلاء الراحلين من ابناء اخوتنا العرب في كل مكان من مصر الحبيبة وسوريا الغالية والاردن الشقيق وغيرهم من البلدان الاخرى . . . لانها اسعد اللحظات التي استطعت ان ابلور معنى من المعاني الغالية التي عجز عن تحقيقها العديد من المؤتمرات واللقاءات لان هذه الاشياء تلقائية وليست مفتعلة . . تلك التي اقصدها هي معاني الاخوة في ابهى صورها وازهى معانيها واجل مواقفها . . . فهذا العربي المسلم من مصر وهذا المسلم العربي من سوريا ، وهذا الاخ من الاردن وهذا الاخ من فلسطين وغيرهم الكثير يقفون جنبا الى جنب مع ابنائنا في هذا الوطن الكريم ـ الذي حباه الله سبحانه وتعالى نعما لا تحصى ولا تعد ـ يشيدون صرح المعرفة ويرفعون بند العلم عاليا خفاقا ليخرج ابناؤنا بعد اعوام وأعوام يحملون راية العلم والمعرفة خفافة لترد الجميل في يوم من الايام لهذه السواعد وهذه العقول التي اعطت جنبا الى جنب مع ابناء هذا الوطن . . . كل هذه المعاني الحلوة النبيلة فرضت نفسها على من هذه الايام وافواج الراحلين تعد نفسها للقاء الاهل والاحبة والاخوان وقد جمعوا حصادا غاليا لا يقدر بمال ولا يؤجر بثمن . . هذا الحصاد هو اعلاء بند الاخوة الاسلامية وتحققها في اسمى معانيها وصورها . . . وتحقيق معنى المساواة الاسلامية من اجلى صورها . . .

فمع مواكب الراحلين الى اصقاع وطننا الاسلامي والعربي احملكم ايها الراحلون العائدون اسمى التحيـة واغلى السـلام لاهليكم وذويكم . . . وانثر في دروبكم الى مواطنكم الاولى الف زهرة وزهرة . . واطبع على جبينكم الف قبلة وقبلة عرفانا بما قدمتم من خير

لوطني بل لوطنكم الثاني بل الاول الذي فيه كعبة الله المشرفة موطن الاسلام الاول . . . موطن الحرم الشريف بيت الله الحرام ، وموطن مسجد الرسول الكريم المسجد النبوي الشريف . . . واتمنى لكم الف عودة وعودة زائرين ومتعبدين ومعتمرين وحاجين فهذه بلادكم مهوى الافئدة فوداعا مع اجمل التحايا واجل التقدير والى لقاء قريب ان شاء الله تعالى في مهبط الوحي ودار السلام والامن والرخاء . . .



الهاتف والحاسب

طرقات على باب المنزل فأتهيأ لفض الغلق لأنظر ماذا وراء الطرقات، وكأن سلاسل مثقلة تشد أرجلي للقعود وكأن حاسة سادسة قد استشعرت ماذا سيلوح في الأفق! إنه العجب العجاب وما أعجب الدنيا ومن جاب الأرض يرى الكثير الكثير. . .

شيء مثير مدهش ويا لحكمة هذي الأقدار فسبحان مقلب الليل والنهار. . . وحين خطوت لأفتح باب الدار سألت من الطارق ورد الطارق بكل أدب انا مندوب الهاتف وفتحت الباب فسلم إيصال رسوم المكالمات. . . ومددت يدي بكل هدوء النفس فرحاً مبتهجاً لأنني اصبحت من اصحاب المقام المحترم فأنا املك هاتفا لأقضي به حوائجي الملحة ويا لها متعة ما بعدها متعة حين يملك الانسان هاتفاً في بيته ويا لها من تمام النعمة أن يأتي ايصال دفع الاشتراكات حتى منزلي فلا يكلفني عناء للبحث عن الأيصال في طوابير مكتظة بالبشر في جو مكفهر قائظ حار ولأول مرة سأدفع فاتورة التحصيل ونظرت اليها لأقف على قيمة هذا الايصال ويا للهول الفين من الريالات!! لماذا كل هذا المبلغ؟! وناديت على من ولى ظهره لي هذا الشخص السمح البشوش الذي القمني حجرا في رأسي .لأن

الظلم اقسى شيء على نفس الانسان وادار وجهه البشوش ليرى لماذا ناديت عليه فأريته احتجاجي فقال: وما ذنبي انا ما علي إلا أن اوصلت الايصال وعليك ان تسدد قيمة هذا الايصال في المكتب الخاص بهذا.. فقلت له مندهشا كيف تم ذلك انا لم أتكلم كل هذه المكالمات وبهذه القيمة بالله عليكم كيف تم هذا؟! وكلمة مني وكلمة منه وتوصلنا الى لا شيء الا ان هذا يتم عن طريق حاسب الكتروني!! الكتروني وكيف أخطأ هذا الحاسب؟! إذاً تباً للحاسب الألكتروني هذا وسبحان الله العظيم حين قدر وخلق في احسن صورة وقوَّم افضل تقويم وما لهذا الانسان حين يثق بنفسه كل هذه الثقة ويرمي تبعة النشاط البشري الجبار على آلة هو خلقها ويثق بها رغم كثرة اخطائها فكما ان البشر خطاءون فكذلك آلات صنعها البشر بأنفسهم اولى بالخطأ ونحن مطالبون بالإقرار بذلك...!!

وولى هذا البشوش ولست ادري أهو سعيد لما وصلت اليه حالي ام هو شامت لأنني سأدفع مبلغا كبيرا لا حق لهم فيه.. وعقدت العزم على ألا ادفع هذا المبلغ أبدا وذهبت الى المكتب وشرحت له انني لم استخدم الهاتف بهذه القيمة ابدا او حتى نصفها او ربعها او عشرها فقالوا عجبا عجبا والى متى تكون الدنيا دنيا العجائب قال الموظف ادفع المبلغ ثم تَظَلَّم بعد ذلك!! حقا ايها الموظف!! ندفع ثم بعد ذلك نتظلم!! عجيب هذا الامر واجب منه ان يكون هنا في ارض الاسلام..!! أيكون التمادي في الظلم؟! أم يرفع الظلم عقب اكتشافه.. وكيف أتَظَلَّم.. معروض وتأشيرة وتسجيل وتصدير وبحث وتنقيب ولجنة ورأي... الخ وارتسمت في ذهني حكاية الصغار التي تضحكنا كثيرا قصته «اذنك من اين يا جحا».

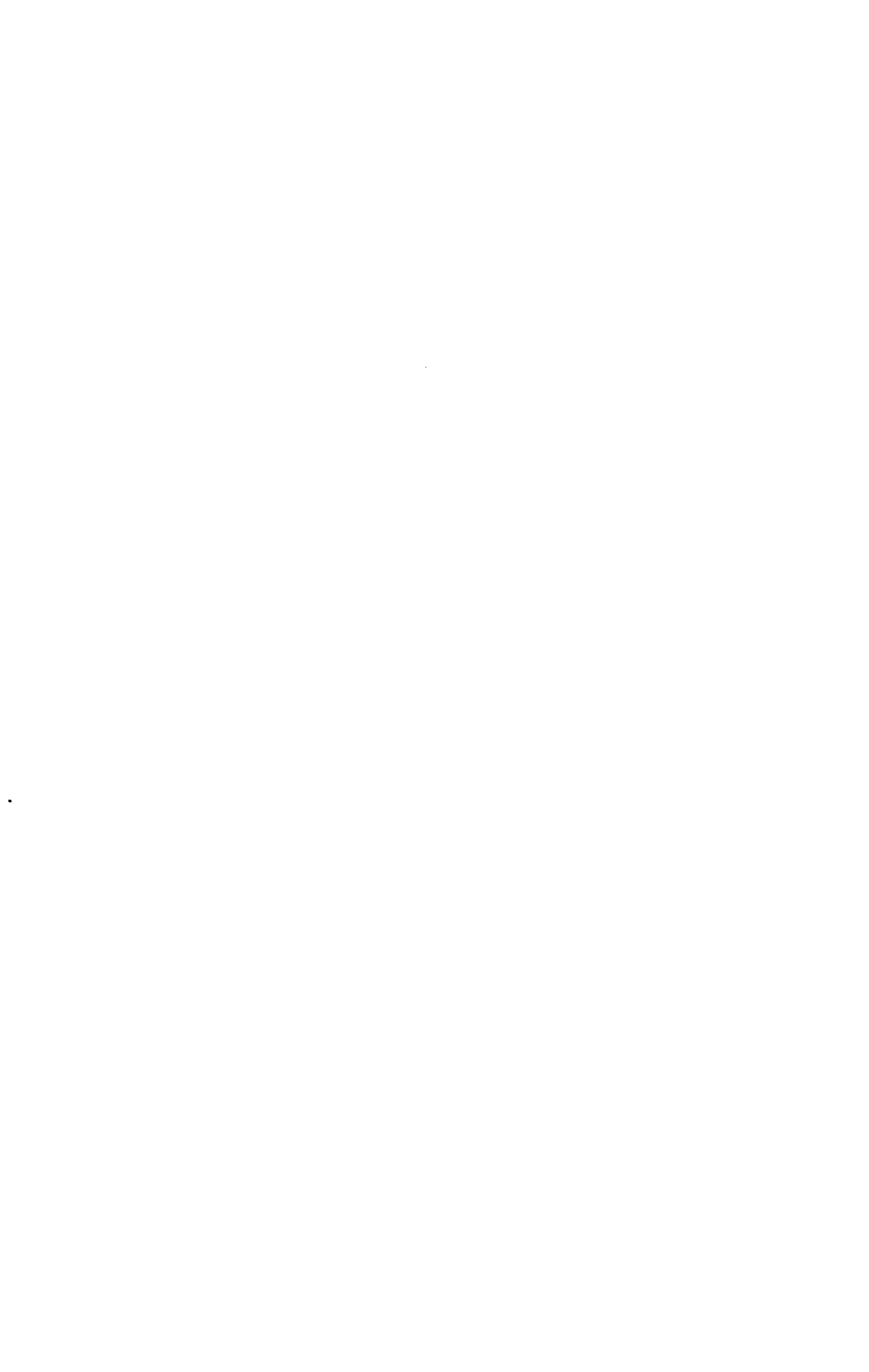
وكان علي ان استسلم للأمر وادفع ثم ادور في دوامة طويلة حتى

استرد المبلغ إن قدَّر له ان يسلم لي. . . وكيف لي بالوقت بالله عليكم لأدور في حلقة هذا العذاب وآتي يوماً او يومين او ثلاثة او اسبوعا او شهرا او أكثر من ذلك!! ولذلك صممت على عدم الدفع حتى الموت لأرحم نفسي من هذا العذاب. . . ومر يوم واسبوع وأكثر من ذلك وفي يوم من الايام وأنا في منزلي واذا بحالة مرضية مفاجئة في المنزل فهرعت الى الهاتف اطلب الاسعاف. . .

وكانت المفاجأة لم استطع الاتصال!! وتصرفت وانتهت الأزمة. . ثم فرغت لاستفسر عن الهاتف. . . ترى ماذا كانت النتيجة؟! لقد قطعوا الحرارة لأنني لم اسدد الفاتورة!!!

بالله عليكم انا اخطأت ولم اسدد فحاسبوني بقطع الحرارة!! وهم اخطأوا في حقي وحق الكثيرين غيري فمن يحاسبهم بالله عليكم خبروني؟! وكيف لنا بالمساواة؟! وكيف لنا بانتهاء هذه المهازل التي تتكرر على توالي الايام والسنين؟! ترى ماذا سيكون الحل؟!. . .





قضايا في الحجّ

اللقاء الأول

ومضت أحلى ايام العمر بكل ما فيها من أغلى ذكريات. . ذكريات رحلة الطاعة. . رحلة العمر. . . وما أخلدها في الذهن هاتيك الذكريات التي سجت مع الروح في أسمى معاني التجرد من حياة الدنيا لتحط النفس رحالها في سفينة الخلاص من عالم البشرية حيث تبحر بالانسان الى بر الخشوع والتضرع. . عادت افواج الحجيج سالمة غانمة. . غانمة فضل الله ونعمائه فائزة برضوانه. . . عادت افواج الحجيج كما ولدتهم امهاتهم بالطهر والنقاء. . أنعم بها من رحلة حيث تجرد كل من أتى اليها يحبو بإحساسه على درب الشوق واللهفة لأقدس بقعة واطهر أرض وقد هجر النفس والنفيس والغالي والرخيص. . انعم بها من رحلة تمثلت في اسمى معاني المداواة وابهى آيات التضامن والتوحد. . . مقصد واحد نداء واحد زي واحد والسنة متباينة لا تهتف إلا بالواحد الأحد. . انعم بها من رحلة حين تحمل الحاج كل المشقات ليركن في رحاب ربه ويأتنس في رياض بيته وفي المشاعر المقدسة لا يشغله عن ذكر ربه شاغل ولا يلهيه عن مناجاته لاه وأي شيء يشد الانسان من امتع رحلة في العمر ملبيا دعاء مالك الملك رب السموات والأرض. أنعم بها من رحلة نرى فيها الصفاء والود

والمحبة وكل آيات المعاني الانسانية النبيلة التي سلكت سبيل ربها جل وعلا. . ومن معترك الدنيا وزمامات متطلبات الحياة شد الحاج نفسه ليخلص لربه وليشهد منافع له في الدنيا الحاضرة والآخرة الخالدة الأمل والمبتغى والغاية التي ما بعدها غاية. . . وقد تحمل كثيرا من المشقات في سبيل لقاء وجه ربه تعالى وتعلقا في أمل وعهد أخذه الله على نفسه على لسان رسوله ﷺ من حج ولم يفسق ولم يرفث عاد كما ولدته امه. . . وحطوا الرحال على هذه الأرض الطيبة وكأني بهم حين حلوا بأرض النقاء والصفاء حلوا وقد ودعوا كل مشاغل الدنيا حتى لا ينصرفوا الى غير الله وابتغاء مرضاة الله فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولقد بذلت الحكومة الرشيدة ما في وسعها مسترخصة كل شيء في سبيل راحة حجاج بيت الله تعالى. . وكنا جميعا مسؤولين وجمهوراً وحجاجاً على مستوى المسؤولية امام الله تعالى لا شك ان الكمال لله وحده ولا ننشد كمال الله تعالى في كل امورنا ولكن كمال الله تعالى فيض يغمر الكون فما احوجنا لِرَحمَة منه تملأ الدنيا وزيادة واذا اردنا ان ننشد خيرا من الكمال فعلينا ان نواجه بعض القصور بكل شجاعة فاذا المحنا الى زاوية القصور سهل علينا تجنبها في تجارب مقبلة ومواسم مستقبلة. . . وهبنا مع الحاج منذ ان قسم الله له البشري وحدثته نفسه بأعذب حديث وأغلى امنية حين يعلم بسماح أولى الأمر له نظاما للقيام بهذه الرحلة الغانمة. . . فماذا اعد لها؟! وكيف اعد نفسه؟! وهل فهم أحكام الحج؟! وقصارى القول؟! هل اعد لها نفسه الإعداد القويم الذي به تقبل به الأعمال خالصة لوجه الله تعالى لا انحراف ولا تحريف بل كما ارادها الله ورسوله سمحاء على المحجة البيضاء. . وما ايسر هذا لو كلف الحاج نفسه اسهل التكليف لمعرفة احكام الحج وآدابه ومفسداته وموجبات الدم وغير

ذلك. . . وحين نطلب من الحاج ذلك لا نكلفه من الأمر شططا فالمسلم الحق هو الذي يعرف دينه خير المعرفة وطلب العلم الديني فريضة على كل مسلم ومسلمة لا إعفاء ما دام في رأس الانسان عقل وبين جوانحه قلب ينبض بذكر الله فكيف ينبض بذكر من لا يعرف عنه شيئا وان اوجب ما يعرفه المسلم اركان الاسلام الاساسية والحج ركن منها. . . فإذا كان من الحاج الكسل فعلى الحكومات تقع بعض المسؤولية لا لشيء إلا لأنه القائمة على امر المسلمين هذا إذا كان البلد مسلما اما اذا كان البلد غير مسلم فمسؤولية العلماء وهذا واجب عليهم ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وينهون عن المنكر. . . فإذا امتنع هذا وذاك فليكن من ضمير الحاج دافع لمعرفة دينه وما اغنى الاسلام عن ان ينطوي تحت لوائه الخوامل الكسالى الذين يقعدهم الشيطان عن طريق معرفة نور الله تعالى والمؤمن كيس فطن فما اسخف الجهل حين تبدو ملامحه من اناس اغلقوا القلوب على ما فيها ولم يتحروا معرفة الطريق الى الله سبحانه وتعالى. . تقول اذا امتنعت الدولة المسلمة. . وامتنعت الامة التي تدعو الى نور ربها. . فليكن من ضمير الحاج دافع لمعرفة دينه فيأتي الى الأرض المقدسة وليسأل وليستفسر وما اكثر الدعاة الى الله وما اغزر التوعية الاسلامية في الحج ولكن هل يطرق الداعون كل الأبواب ليسألوا الناس هل يعرفون الطريق ام غاب عن بصيرتهم شيء. . . فهيا حجاج بيت الله الحرام من كل فج عميق اقصدوا وجه الله على بصيرة وما اقسى على النفس حين يجهل الانسان امر دينه فلا نقول الا على الدنيا العفاء. .



اللقاء الثاني

وحينما يتهيأ الحاج لهذه الرحلة.. رحلة العمر.. نعم.. لأنها فرضت في العمر مرة من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنها مكلفة حسب قرب الديار او بعدها من كعبة الروح وقبلة الفؤاد فلا يتسنى لأغلبية الخلق إلا القيام بها مرة واحدة في العمر. فرصة واية فرصة فيا سعد من كتب له الله تعالى القيام بهذه الرحلة الحلوة التي يستعذب فيها كل جهد ويستسهل كل صعب... فحينما يتهيأ الحاج لهذه الرحلة بالاستعداد النفسي والإعداد الروحي والتأهيل الذهني والمعرفة الماسة لأركانها وفرائضها معرفة تذهب عنه صفة الجهل وتباعد بينه وبين التردي في الأغلاط التي تشوه الصورة النقية لأمة الاسلام... وحسبنا هنا في هذا اللقاء من لقاءات ايام المنى والصفاء ان نتبختر في رحاب الرحلة في ثاني لقاء ونعيش مع الحاج في رحلته حتى نقف على المصاعب والمشقات التي تقابله فنكشف عنها الحجب لأولى الامر في بلاد الحجاج وبلاد الكعبة الشريفة حتى تتكاتف الجهود ونزيل كل عقبة وكل منغص في هذه الرحلة... فحينما يتهيأ الحاج لهذه الرحلة ليأتي موعد سفره نرى العجب العجاب في السفر. ولقد حقت كلمة الرسول ﷺ السفر قطعة من العذاب.. ولولا ان قالها رسول الله ﷺ لأن الأعداد

تتضاعف مئات المرات في هذه الفترة بالذات اذ يهرع الموعودون بهذه الرحلة لمكاتب الحجز او تحجز لهم الحكومات بطرقها الخاصة وهذا افضل ويا حبذا لو قامت الجهات المسؤولة بالحجز على الطائرات بواسطة مندوبين من قبلها حتى لا تكلف الحاج عناء الحجز والسفر من شتى المدن او القرى الى مكاتب الشركات. . .
والذي لا يسعده الحظ من يذهب الى مكاتب شركات الطيران او حجز البواخر فيرى زحاما ما بعده زحام وكأنه يوم الحشر. . فأحيانا يستطيع من يبكر بالوقوف امام المكاتب ان يلوذ بحجز مقعد له او لمن معه وأحيانا لا يستطيع الحجز في يوم فعليه الانتظار يوما او يومين. . . وأحياناً أخرى يأتي من يحجز لأحد كبراء القوم. . . او لأحد اقاربه او معارفه دون عناء او دون مشقة وطوابير الضعفاء يتلهفون بمسيرة قدم واحدة الى الامام ليستظلوا بظل حائط او يستشعروا نوعا من الأمل ان الدور قد قرب منهم. . . وسرعان ما يتكاسل المسؤول او يتحدث في التليفون او يشعل سيجارة او يحدث زميله او يشرب الشاي او القهوة. . ويا ويل من تحدثه نفسه بالاعتراض على بعض هذه التصرفات. . تقوم الدنيا وتقعد ولا يتعشم ابدا في انجاز حجزه. . فلماذا يعترض؟! وكأن بيد هذا الموظف تصاريف اقدار البشر ورسم خطاهم في سير رحلتهم. . !!
رحماك يا رب العباد يا من تصرف امورهم بقدر معلوم لا حسب اهواء النفوس الضعيفة المزيفة. . . !! وليس معنى هذا ان كل الخلق يلاقون مثل هذه المشقات والمتاعب بل يوجد بعض منهم يحجزون بسهولة ويسر بل وأكثر من اليسر. . لكن الأغلبية يلاقون المشقات والمتاعب من الحجز. . ويأتي يوم السفر. . . وربما اسميه تجاوزا يوم العذاب. . !! يوم يشد الحاج رحاله الى الميناء الجوي او الميناء البحري. . . وينتظر. . . ويطول الانتظار. . ويطول

الانتظار. . وينظر في تذكرة السفر ويدقق في موعد الرحلة ويتأخر ساعة ساعتين ثلاث ساعات يوما او يومين وربما اكثر او اقل. . ويا لسوء الحظ لو كان حجزه قبل اغلاق مطار جده بيوم او يومين وتتأخر طائرة لأي سبب من الأسباب فليكن سوء الحظ ولا يغنم الا بالإياب الى بلدته مرة اخرى يحتضن الحسرة بين جوانحه. . حقيقة ان الله قد كتب له الحج ما دام قد نوى وقد عاقه عن إتمام أداء الفريضة عائق خارج عن إرادته لكن الأمنية التي ما بعدها امنية ان يكحل العين بنظرة للكعبة ولقبر الرسول ﷺ ويهدهد الاحساس بصلاة في البيت الحرام والمسجد النبوي الشريف. . إن أحلى اللحظات ان يعايش بنفسه هذه الرحلة معايشة فعلية لا ان تكتب له دون مباشرة فرائضها. . . ونعود للحجز فنقول: لماذا لا يكون الحجز عن طريق مكاتب مسؤولة مسؤولية فعلية؟! ولماذا لا يكون الحجز قبل الميعاد بوقت كاف؟! ولماذا لا يكون إعداد المراكب وتجهيزها بكفاية وقبل الرحيل؟! ولماذا لا يكون النظام دقيقا فلا يشق على أحد ونرفع الحرج من على الحجاج المسافرين. . .؟! نعم إن الثواب على قدر المشقة وهذه رحلة في سبيل الله تعالى ولكن لا مانع من ان تتكاتف الجهود من اجل إزالة الحرج والمشقة خصوصا إذا كان بالامكان وطبيعي ان يكون هراء حينما يكون في مقدور الانسان ان ييسر على نفسه ويلجأ الى الاتعاب!! ويظن انه اذا اتعب نفسه اكثر دون داع لذلك سيكون الجزاء اكبر واكثر في حين ان الاسلام يمنع الحرج على المسلمين. . . يا ايها المسؤولون عندكم إمكانيات لا تخفى على احد. . فأريحوا حجاج بيت الله الحرام من الحجز وفي توفير المركبات الطيبة وفي احترام المواعيد فالاسلام دين النظام. . . دين الامانة والوفاء بالوعد. . وميعاد الحجز وعد فأولى بكم الوفاء به. . .

اللقاء الثالث

وتحرك ركب الحجاج ضيوف الله من أرض الله وحرم الله سبحانه وتعالى تحرك ركب الحجاج ممن كتب لهم الله تعالى ان يسافروا من بلادهم الى هذه الأرض الطاهرة فإذا استووا على ظهر المراكب سمعت نداء تهتز له السموات والأرض وتخشع القلوب للرحمن ملبية نداءه جل شأنه . . . وقد علت وجوههم الفرحة وعم قلوبهم البشر ونطقت احداقهم بالبهجة فها هم قد وصلوا الى الموانىء استعدادا للنزول الى اطهر بقعة واقدس مكان. . . وقد سبقت مشاعرهم الزمان والمكان لتطوف بالبيت وتصلي في مقام ابراهيم وتدعو عند الملتزم وتشرب من ماء زمزم المبارك . . ولكن عليكم ايها المسرعون بالحواس ان تكبحوا جماح المشاعر لتلتزم بزمام الواقع. . . الواقع ما اسخفه في كثير من الأحيان!!. . الموانىء وكأنها محشر والمطارات وكأنها بعث من جديد والدنيا زحام في زحام ويا سبحان الله العظيم حين امرت بهذا فلباك القاصي والداني. . وكان الله في عون المسؤولين لأنهم نظروا بعين العقل والحكمة لئلا يختلف النظام ويختل الاتزان. . . ولكن دقة التخطيط تبيح لاكثر من هذا العدد ان تمر قوافلهم بسرعة واية سرعة لكن هناك بعض المشكلات ينبغي ان تحل وبنوع من

التنظيم والعقل والحكمة فبمجرد ان ينتهي الحاج من النزول من المركبة يتجه الى الجوازات للحصول على تأشيرة الوصول وبسرعة يتجه الى مدينة الحجاج.. حجاج الجو وحجاج البحر... وهناك ينتظر... ساعة.. ساعتين... ثلاث ساعات ربما نهارا بأكمله او ليلا بأكمله وله الله... هذا الحاج الذي عهد نفسه لأن يهرع للأماكن المقدسة بسرعة البرق يعطل بإجراءات ما اسهلها لو كان هناك نوع من التنظيم او قام على الأمر هذا من هو اهل له.. بالتدريب والمعرفة والتقدير للمسؤولين حتى اذا استلم جواز سفر من مكتب الوكلاء الموحد عليه الانتظار... انتظار سيارات شركات النقابة العامة وتجد غيثاً من السيارات تقف لترحيل الحجاج خارج المطار فإذا ركب حاج هذه السيارات استوقفته مراكز التفتيش التابعة للنقابة في الطريق وتقطع له التنازل عجيب هذا الأمر؟! ما معنى التنازل؟! ولماذا؟! وبأي صفة؟! لست ادري او كأنه عليه ان يقطع التنازل بمدينة الحجاج حتى يتسنى له ركوب السيارات الأخرى ويمر بسلام من مراكز التفتيش... والكلام يطول شرحه في امر هذا التنازل... ولكن نرجو من المسؤولين البحث عن معنى ومضمون هذا التنازل ومدى أحقية من يحصلون عليه من الحاج الذي كلف نفسه عناء وحرية الركوب مكفول في العالم لكل انسان... لا إلزام ولا التزام المهم ان يركب ويصل الى مكة المكرمة او الى المدينة المنورة بسلامة الله وكفاه عناء في بلده وعناء من اجراءات الدخول وانتظار في مكتب الوكلاء الموحد لتوزيعه على المطوف وانتظار سيارات الشركات التابعة للنقابة... فاذا كان في الطريق واستوقفه مركز التفتيش التابع للنقابة ثم يستوقفه في الطريق المركز التابع لوزارة الحج والاوقاف ليجمع منهم الجوازات ويعطيها ليد شاب صغير استوظفوه ولا يقدر من المسؤولية شيئاً او

ربما يقدر لكن تحدث احداث كثيرة بسبب استوظاف الشباب غير مؤهل بالمسؤولية اولا كي يضع مصير حاج غريب في يده وربما تصرف تصرفا احمق فأضاع الجواز الخاص بالحاج او ربما تضايق منه او ربما. . او ربما مما يندي له جبين الكريم والمسلم وخصوصا في أوقات من هذه الاوقات وفي ارض مثل هذه الأرض. . ويا حسرة من يفقد جواز سفره. . وما ادراكم حين يفتقد جواز السفر. . . إجراءات وإجراءات ما انزل الله بها من سلطان وربما تكون ضرورية لكنها تجذب الانسان من عالم الروحانيات ليفكر في مثل هذه المشكلات الجانبية التي يمكن الاستغناء عنها بشيء من الذكاء والفهم والتخطيط. . . حين يكون مسؤول من المطوف هناك في مدينة الحجاج ويتعرف على من يخصه من الحجاج ثم يرتب معهم الامر اذا كانوا سيسافرون الى مكة ام سيسافرون الى المدينة وكفاه ان يتنقل من يد الى يد ومن مكتب الى مكتب ليخلو الى عبادته لا الى حل مشاكله. . . رفقا بهذا الضيف الكريم من كثرة الاجراءات العقيمة التي تطبع نفسية الحاج بكثير من الضيق ولقد سمعت حاجا يقول. . . هذه اول مرة وآخر مرة احج فيها وصدق الله ورسوله حينما جعل الحج مرة واحدة من العمر افلا نيسر على الحاج بما اوتينا من علم وقدرة. . . ؟!



اللقاء الرابع

الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله واسمعها تتردد من الأعماق كأنها تنغيمة على شفاه حجاج بيت الله الحرام ينزلون من سيارات الشركات في مكة او المدينة المنورة حين تطأ الأقدام ارض البيت الحرام او ارض طيبة الطيبة حيث تصفو الروح لبيت الله الحرام او تحضن الأحاسيس مسجد المصطفى وتركن النفس من عالم الضجيج والمشاكل والزحام الى روضة المختار ﷺ.. سمعته يقول الحمد لله... انتهت المشاكل والاجراءات فلنخلص للعبادة.. مرحبا بيت الله الحرام.. مرحبا ايتها الكعبة المقدسة المشرفة... ما عليّ الآن إلا أن أنزل أحمالي عند مطوفي لأخلد للعبادة والطاعة... ويا لها من امنية لم تتحقق ويا له من حلم وردي ما ان طلع صبح الواقع حتى تبدو كخيالات الليل تذوب متحسرة امام خيوط اضواء الفجر المبين... ايها الحاج صبرا فإنها رحلة.. رحلة العمر.. رحلة الطاعة.. رحلة الخلاص من اوزار الماضي لتفتح صفحة بيضاء كما ولدتك امك فصبر جميل والله المستعان على ما يصفونه.. نصيبك مع مطوف لا يرجو الا لقاء وجه ربه الكريم وإما مع مطوف لا يرجو إلا العاجلة وسعى لها سعيها لا يرجو إلا المكسب من حصاد هذا الموسم ونسى انها ـ

من الاخلاص ـ مهمة ما بعدها مهمة تيسير امور الحجاج وإكرامهم... فدعك من هذا الذي نال حظا وافيا مع مطوف كريم... وتعالى معنا ايها القارىء العزيز مع الحاج سيىء الحظ فأول ما يلاقي مشقة البحث عن المطوف فقد نزل من الحافلة عند الحَرم وعليه ان يسأل ويبحث فشخص يدلك وآخر يضللك او لا يعرف محل المطوف ومعك أحمالك وتسأل وتسأل الى ان تهتدي الى مطوفك وتدق عليه باب محله فتقَابَل بالترحاب وتدفع بغية القلب وأمل العقل حفنة من الريالات.. وهيا الى السكن... ويا ليته يكون سكنا وما هو بالسكن ولكنه قلق..!! حجرة لا تسع لشخصين وبها عشرة عدا الامتعة وإياك ان تعترض وإلا افترشت الشارع او عليك بالشكوى للمسؤولين وهيهات هيهات وما فائدة الشكوى والشكوى لغير الله مذلة وهذا موضوع آخر! فما عليك الا ان تخضع للامر الوقع وتنام نوم المعتقلين في السجون مكانا للجنب فقط وإن اردت ان تغير الجنب فعليك ان تعلن حالة الطوارىء والانذارات للجيران حتى يستعدوا فلا تحدث مضايقات وغيرها..

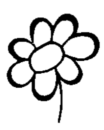
والماء... وما ادراك ما الماء... هو عصب الحياة فلا حياة إلا به ولا راحة الا به فمنه كل شيء حي وهذا قضاء الله وحكمته إذ جعل من الماء كل شيء حي سبحانه وتعالى انه لسعيد الحظ من يتوفر عنده الماء من الحجاج.!! والأغلبية يعانون من عجز المياه وانقطاعها في كثير من المنازل حول الحرم وعليك بشرائه بالواينات التي تشكل سوقا سوداء خصوصا كلما اقتربت ايام الحج ولقد تحدث بعض الاخوة الأعزاء كثيرا عن مشاكل المياه في فترة الحج واراه تحصيل حاصل ان اعالج مشكلة المياه مرة اخرى...

فيا أيها الحاج المسكين امضغ آلامك واخفها بين جوانحك فالسكن ـ برغم توفره في مكة المكرمة وفي احيائها العديدة ولا

داعي للتكدس حول الحرم - هو المشكلة الكبرى التي ينبغي ان تتحملها عزيزي الحاج الى ان يوفق الله اولي الامر ليحلوا هذه المشكلة بشيء من الضوابط التي تحد من جشع الجشعين وتيسر على حجاج بيت الله الحرام وليست المنافع بهذه الصورة التي تضغط على من يأتي قاصدا وجه ربه... فعلى الأقل من اجل الله تعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء... ومشكلة المياه بالرغم من يسر حلها بما متعنا الله تعالى به من إمكانيات وقدرات نستطيع حلها بشيء من الحكمة والاخلاص وحسن النية ولكن ان يوفق الله تعالى لما فيه الخير.. صبرا على الماء يا من خلقتم منه وبه تعيشون فعسى الله ان يمطركم برحمات من عنده وربما اراد المسؤولون ان يزيدوكم ثوابا وأجرا فامتحنوكم فالله المعين والمقدر...

ايها الحاج الكريم.. لا تحزن فبقدر المشقة يكون الثواب والأجر وبقدر الصبر والاحتمال يكون التقدير والتكريم اتحسبون ان الأمر هين... فوالله ثم والله لولا مشقة الحج وتكاليفه على اختلاف الاشكال والالوان لفرضه الله علينا كل عام ولكن الرسول ﷺ اوضح لنا انها مرة في العمر قد فرضت على من استطاع اليه سبيلا!! فبشراكم حجاج بيت الله الحرام وصبراً ثم صبرا على المصاعب والمشقات وغدا نتعشم في وجه الله الخير فحكومتنا الرشيدة تعمل جاهدة على تفادي الاخطاء والعمل على راحة الحجاج فهم ضيوف الرحمن وعسى ان تجد هذه المشكلة التي تحدثت عنها في هذه الزاوية الحل الأمثل وتوضع في الحسبان وما اراها صعبة ولكن بنوع من الاخلاص ونوع من الضمير عند بعض المقومين والمسؤولين وسن بعض الضوابط لمشكلة الاسكان والمياه بمكة المكرمة اثناء الحج تحل كثير من المشاكل ومنها مشكلة

الافتراش التي صورت وكأنها مشكلة المشاكل في حين انها مشكلة جانبية ونتيجة لمثل هذه المشاكل التي تناولناها في هذه الزاوية فينبغي التركيز على السكن وتوفيره وهو وفير وكثير مع سن ضوابط وقوانين تلزم المؤجر والمطوف بها مع توفير المياه مع تكوين لجنة اكثر ايجابية وعلى مستوى المسؤولية للتفتيش والبت الفوري في القضايا في لحظات بذلك تستريح اطراف كثيرة ويخلو الحاج مع ربه بعيدا عن التفكير في المشاكل وهذا هو التكريم الحقيقي لضيوف الرحمن ولا سواه...





اللقاء الخامس

واقترب موعد الوقوف على عرفات وتتأهب النفوس ليوم الحج الحقيقي والحج عرفة!! ويحرم من لم يحرم ويكون جاهزا من أحرم من الميقات ويبدأ الذهاب الى منى للتروية قبل الوقوف إحياءً لسنة المصطفى ﷺ ويكون الترحيل من اليوم السابع واليوم الثامن واليوم التاسع ويكون المشهد العظيم ولا نجد في ذلك ما يستوقفنا إلا حالات فردية من الممكن التغاضي عنها ويكون يوم عرفات والحق يقال إنه يوم التجلي والعظمة ولسعة عرفات تزول الاختناقات والتكدس وما الى ذلك حتى المياه تكاد تكون متوفرة وربما لانه يوم وربما لانه محسوب حسابها منذ وقت طويل وربما لسعة الأرض فالحمد لله واللهم وسع على عبادك الصالحين...

حتى اذا حل النزول للمبيت بالمزدلفة أو الذهاب الى منى حسب ما تيسر تبدأ رحلات العذاب وذلك لأن ارض منى ضيقة ومحدودة كما ان مدة المكوث بها والمبيت بها ليلتين او ثلاث ليال فالمياه بها تقل ومشكلة المراحيض ودورات المياه لا بد لها من حل جذري ولا بد لتصريف المياه المختلفة بطريقة صحية فيا عزيزي الحاج الاسلام دين قيم دين النظافة والنظافة من الايمان فظاهرة التبول والاغتسال والوضوء في شوارع منى حتى تتبلل الأرض ويمشي الخلق في

الطرقات في الوحل والمياه المتخلفة التي لا تجد مصرفاً صحيا لها.. فلا بد ان يعرف الحاج واجبه فلا يتبول ولا يبرز الا في اماكن لا تضر بخلق الله تعالى وهذه اماكن طاهرة لا يعبث بها هكذا..

ومشكلة المشاكل طريقة السكن بالخيام وقد اصبحت الخيام تمثل خطرا مخيفا مع عدم توفر التوعية لدى الحجاج فكل عام تقريبا تلدغ من نفس الحجر ألا وهي مشكلة الحرائق التي تلتهم كل عام مئات الخيام وتسبب كثيرا من المشاكل التي نكون في غنى عنها بقليل من المراعاة ومراعاة الضمير.. فالخيام من قماش والقماش سريع الاحتراق والاشتعال وابسط القواعد البديهية ان مواقد النار عندما تقترب من القماش مع شدة الحرارة تسرع باشعال الحرائق المدمرة وتضطر اجهزة الامن والمطافىء لعمل نحن في غنى عنه لو عرف كل فرد واجبه وراعى ضميره... إذا فلا داعي يا حجاج بيت الله الحرام لاستخدام المواقد الغازية او غيرها في الخيام القماشية فيتشرد الكثير ويحترق الكثير فلن تتوقف حياة البشر على التهام الوان الطعام في هذه الايام يكفي الزاد القليل الجاف الذي لا يكلف ولا يتسبب في مثل هذه المضار.. ولكن مهما قلنا ومهما نادينا فلا استجابة لأن الافواج تتغير كل عام وقليل من البشر من يستجيب وهناك فكرة نرجو العمل على تنفيذها حتى نحل كثيرا من المشاكل.. مشاكل الخيام ومشاكل ضيق ارض منى ومشاكل المياه ودورات المياه... فلماذا لا تبنى منى بصورة منظمة على شاكلة مدينة حجاج الجو مع مراعاة ان يكون الدور الأرضي عبارة عن مظلات غير مسورة ويبنى فوقها طابقان او ثلاثة طوابق اواربعة حسب ما تيسر كغرف او عنابر كبيرة ومزودة بدورات مياه كافية مع بناء خزانات ضخمة للمياه وشبكة كبيرة لتصريف المياه.. وبذلك نتفادى الحرائق والتعويضات والمشكلات والونيات والازعاجات...

ونتفادى ضيق مساحة ارض منى فنكون قد جعلنا طابقين او ثلاثة او اربعة فتتضاعف الاماكن اربع مرات او خمسة وتكون السكنى بقيمة رمزية كالتي تدفع للخيمة او اقل او اكثر حسب التكاليف ولماذا لا تساهم فيه الدول الاسلامية والأفراد من اهل الخير والمطوفون ولماذا ولماذا؟! المهم ان يدرس هذا المشروع ولقد شنف الآذان جلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز واسر القلوب حين سمعنا تصريحا مفاده ان ارض منى قد سمح ببنائها وذلك عقب الحريق الكبير الذي شب في شارع سوق العرب في منى هذا العام... ونتمنى ان يتلقف المسؤولون هذا السماح السامي بشيء من السرعة في تنفيذ هذا المخرج الطيب الذي يزيل عناء كبيراً ونرجو ان يدلي علماؤنا برأي الاسلام في هذه الافكار فإن كانت طيبة دعوا اليها وان كان فيها نوع من التحفظ التمسوا التيسيرات من الشرع الحنيف ولا ارى غضاضة في هذا الامر لأنه يحل مشكلات كبيرة ولا يمس اصلا من اصول الدين ولا الفريضة فهو سيقضي على ضيق المساحة وبنوع من الجدية سيقضي على تفادي كثير من تراكم الفضلات والمخلفات بطريقة نظامية تحافظ على الصحة والاسلام اول ما يدعو الى الحفاظ على الصحة بشتى الطرق ويدعو الى الوقاية التي هي خير من الف علاج.. وعموما نرجو من الله تعالى ان يوفق الجميع الى ما فيه الخير حتى يسرعوا الى تنفيذ هذا المشروع والحمد لله ما دامت النية طيبة من اجل مصلحة حجاج بيت الله الحرام وتوفير الراحة بقدر الامكان لنتفادى الزحام وتكدس القمامة وتجمع المياه الفاسدة ومخلفات البشر بطريقة غير صحية والله الموفق لسواء السبيل.

اللقاء السادس

وإذا تغلبنا على مشكلة السكن وتوفير دورات المياه وتجنب اشتعال الخيام... تبدو في الأفق مشكلة أخرى وقد أثير حولها جدل كثير ولعلها تجد النور لتحل.. وهي مشكلة الهدي والأضحية... ومع انها واجبة الاداء إلا ان الحجاج لا يحسنون اداءها على الوجه الصحيح.. وموجبات الهدي معروفة وليس هنا مجال تفسيرها ولكن كيفية التصرف هي التي تحتاج الى ايضاح... وقد حثنا الله تعالى في قرآنه الكريم ودلنا الرسول العظيم في سنته المطهرة على ان الهدي يجب حين حدوث مواقف معينة ويجب ذبحه ابتغاء مرضاة الله تعالى وينبغي ان يؤكل منه ونطعم البائس والفقير منه وخصوصا أهل الحرم إلا أن كثيرا من الحجاج يظنون ان الغرض من الذبح هو الذبح فقط وتكون النتيجة تكدس آلاف من الذبائح في المجازر بأرض منى او تركها على اعالي الجبال او السفوح وفي الطرقات بطريقة غير لائقة بالاسلام ولا بالمسلمين ودينا الحنيف دين العقل ودين القلب ودين الحكمة ودين النظافة ودين اتباع لا ابتداع فقد كان رسول الله ﷺ يذبح الهدي ويأكل منه ويأكل اصحابه ويوزع ما يجب توزيعه على الفقراء والمساكين وهذه هي الطريقة المثلى التي ينبغي اتباعها ولا نبتدع غير ذلك ولا

نتصرف بطريقة فيها الهروب تحت ستار صحيح من أن مكة ليس بها فقراء او ان المقصود هو الذبح من اجل الذبح فقط فإن الله سبحانه وتعالى لن ينال لحومها ولكن يريد التقوى والالتزام بأمره ومن احسن من الله قيلا فلماذا لا يتحرى الحجاج ذبح هديهم ويوزعونها بأنفسهم فاذا وجدوا مشقة في توزيعها كلفوا من يقوم بذلك ممن توفر فيهم الامانة وتحمل المسؤولية ولن نجد مشكلة حين نوضح لأهل مكة من أصليين وزوار وحجاج أنه لا انتقاص حين نأكل من الهدي حين يعز وجود الفقراء وهذه مستحيلة. فتوزع باهتمام، لا تخاذل ولا هروب ويتقدم كل فرد دون حياء او خجل او أنفة او كبرياء فهذه الأضحية مذبوحة في طاعة الله وأراها بركة عن غيرها واذا تعذر ذلك كما قال القائلون كثيرا واقترحوا مرارا تعبأ في معلبات وتوزع على أهل مكة فيأكلوا منها او يتصدقوا بها على غيرهم ممن يعرفونهم فتكون سبيلا لكل من احتاج في فترة معينة لا تعدو اشهر الحج التزاما برأي بعض المذاهب ويعتبر هذا واجباً على اهل مكة حين لا نجد فقراء في حين الذبح وبذلك تكون في محلها الحقيقي واذا تعذر ذلك يأخذها الأغنياء ويتصدقوا بثمنها على الفقراء المحتاجين واعتقد ان هذا الرأي له بعض الوجاهة... وينبغي ان يدس باهتمام لان الاسلام لا يقبل مطلقا ان يكون الهدي على سفوح الجبال وعلى ذراها مذبوحة لا يستفيد منها خلق الله تعالى بل تكون مصدر إيذاء وتنفير ومبعث رائحة كريهة لا يقبلها الاسلام ولا تعاليم الاسلام ولا من اوتي بعض العقل والحكمة او في قلبه وعي اسلامي حنيف والرجاء كل الرجاء ان يدرس هذا المشروع بشكل جدي لا جدلي وان تشكل لجنة من كبار العلماء بنية بحث هذه المشكلة وبيان الفتوى فيها حتى يتم بناء عليها دراسة بعض المشروعات التي بها نتفادى ضياع هذه الثروة

الحيوانية من ناحية ومن ناحية اخرى نتحرى الالتزام بتوزيع هذه اللحوم حسب وما حددته الشريعة الاسلامية. . وعفوا ايها الحاج الكريم حين اقدم بعض الانتقاد الذي لا ارجو من ورائه الا وجه الله تعالى فلا ارتجي الا الدرب الصحيح من اجل ان يتقبل الله تعالى فيعود الحاج الى بلده مبـروراً مغفور الذنب كما ولدته امه طاهرا مطهرا من كل ذنب لا يخرج من حجته وقد جافى الحق في كذا وغفل عن كذا بحجة كذا فالفرصة سانحة ايها الحاج الكريم لتقف على الطريقة المثلى في كيفية الآداء والله سبحانه وتعالى يعذر ويسامح فيما لا قدرة للانسان عليه فلا حرج اما التناسي والتغافل والتكاسل والهروب والتقصير فشيء غير مقبول لا شكلا ولا موضوعا وكما قلت مرارا ان الاسلام بحاجة الى مسلمين منفتحين يعطون للاسلام قبل ان يأخذوا منه خصوصا في ايامنا هذه وربما سأل سائل ما معنى هذه الجملة ومعناها ليس بالبعيد ولا بالغريب. الاسلام في حاجة لمن يعطي لا لمن يأخذ يعني بحاجة الى مسلم يريد الاسلام من اجل الاسلام من اجل عزته ومنعته والدفاع عنه لا أن يأخذ منه المنعة والامان ويؤدي الفروض بشيء من المراءاة ظناً منه ان الله لا يطلع ولا يعلم حاشا لله فسبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فنسأل الله العلي القدير ان يلهمنا الصواب لنبحث مشكلة الهدي بشيء من التعقل والاخلاص ولا نمشي في تيار المتكاسلين الذين يخافون تناول المشاكل لحلها والله الهادي الى سواء السبيل.

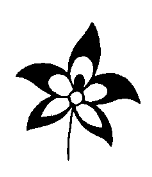


اللقاء السابع

ونخلص من الهدي لنطرق درب رمي الجمرات...!! ولقد أضحكني جدا جدا يوم تأهبت لرمي الجمرات فاذا بي ارى شرطيا يصرخ مستغيثا بكلمات فهمت منها ان الدنيا قد قلبت رأسا على عقب وان سيلا من الحجاج قد ديست تحت الأقدام ولقد كان المنظر مريعا لهذا الشرطي الذي عرفت من قسمات وجهه انها اول مرة يقف فيها في المشاعر وخصوصا عند الجمرات وحقيقة ان تدافع الناس بهذه الصورة ـ التي لا يطاوعني لساني لوصفها ـ شيء مسيء للاسلام والمسلمين ان هناك بعض الفئات تتزاحم وتتدافع بالأيدي وبالأصوات لترهب من يمشي في طريقه الى الجمرات حتى ان كثيرا من الحجاج فعلا يقعون تحت الاقدام ويداسوا فيموتوا اسوأ ميتة ويرجع هذا لعدم توعية امثال هؤلاء الذين يتدافعون وكأنهم في معركة بالأيدي يمشون في دائرة كبيرة في وسطها النساء يحميهن من الاجنحة فتيان اشداء وعفوا ان قلتها... رحماء بينهم وكأنهم وذويهم هم المسلمون وحدهم.. وقد اثارني منظر استأت منه جدا وتأكدت ان هذا مقصود وليس عن غير قصد فقد وقعت في هذا المأزق مرة حين وجدت جيشا جرارا من هؤلاء وقد دفعني واحد منهم لسوء حظي دفعة قوية صرخت لها ونظرت اليه نظرة كلها حيرة

وعجب أهذا هو الاسلام دين الأدب.. دين الحياء دين النظام دين الرقة.. ويا للأسف لما نظرت إليه وجدته يضحك فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم واصبحت ظاهرة ملفتة للنظر حتى انني سمعت بعض الحجاج الذين يقصدون الجمار يقول واحد منهم إذا اردت ان ترمي بسهولة فعليك بالسير خلف هؤلاء.. وفعلا عجبت من هذا القول وحاولت ان اجربه ويا للغرابة فعلا استطعت ان ارمي بسهولة ويسر.. ويا سبحان الله العلي العظيم كتل بشرية كاسحة لا تبقى امامها من بشر ولا تذر... فلماذا كل هذا من هذه الفئات الغافلة او المستغفلة يا من قصدتم وجه الله تعالى!! ثم ما هذا الذي يحدث حول الجمرات سمعت احد الاشخاص يسب الدين للشيطان وهو يرجم ويتلفظ بألفاظ بذيئة في حين ان الرسول ﷺ علمنا كيفية رمي الجمار والدعاء عند كل رمية وشتان بين هذه السباب القبيحة والألفاظ السوقية وبين دعاء المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام .. ليس هذ فقط بل ان ما يحدث في الرمي نفسه يثير العجب فبعض الحجاج يقذف بالأحذية وبعضهم يقذف بالحجارة الكبيرة وبعضهم يصعد تحت سيل القذائق ليمسك بيديه ويضرب الشيطان كما يتصورون وتنهال الجمرات على رأسه ووجهه ويتحمل بل ويسعد ظنا منه انه قد ارضى ربه بأعمال بطولية تقاصرت عن محاكاتها الهمم فهو الفارس الوحيد في ميدان رمي الجمار وينزل فرحا سعيدا والابتسامة تعلو شفتيه ويرفع يده على جبينه يمسح قطرات الدم التي اريقت كما ـ يظن ـ في سبيل الله تعالى... والله منها براء... في مرة من المرات سمعت رجلا ينصح زميله قائلا: يا أخي انتقي الجمار واجعل الجمرات الصغيرة للشيطان الصغير والجمرات المتوسطة للشيطان المتوسط وانتقي الكبيرة لاكبر الشياطين حتى تنال ثوابا عظيما...!! هذه احاديث

وأحاديث المخرج منها توعية المسلمين او بمعنى ادق حرص المسلمين انفسهم على معرفة امر دينهم لا يعتنقون خزعبلات لا اصل لها بل تسيء للاسلام والمسلمين... وملحوظة اخرى للحجاج لا عليهم: ان كوبري الجمرات العلوي طيب وقد سهل كثيرا على الحجاج ولكن اسفله محاط بسور وحاجز ليس به الافتحتان تقريبا على كل جانب في البداية وفي النهاية وهذا يسبب ضيقاً وزحاما فلماذا لا يزال هذا السور حتى ييسر على الخلق ويفسح لهم الطريق فبدل من ان يكون الزحام على طول الممر فيكون حول الجمرات فقط وفي الممر متسع يرمي الرامي ويمشي على اتساع حتى يصل الى الجمرة الاخرى دون تحديد المسار. ومن يسَّر يسَّر الله عليه وهذه الدنيا فسيحة فلماذا نضيق على انفسنا؟!! نرجو من المسؤولين مراعاة ذلك وهذا اوفق من الصورة التي عليها الآن ممرات الجمرات والله الهادي الى سواء السبيل...



اللقاء الثامن

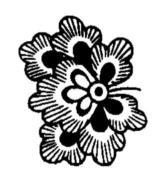
ونختتم اللقاءات بهذا اللقاء الذي نجمع فيه بين عدة مظاهر ينبغي معالجتها ايضا. . فحين تنتهي ايام منى ليوم النفرة يتجهز الحجيج لمغادرة منى الى مكة المكرمة ومنها الى المدينة او عودة الى البلاد مرة اخرى في هذا اليوم تستعد كل الأجهزة عن بكرة ابيها لهذه الساعات اذ ان كل الحجيج تقريبا يريد ان يغادر منى الا قليلا منهم يبقى ليوم آخر وهنا تبرز ملحوظة مهمة وهي لماذا يتعجل الحجاج للرحيل عن منى بالرغم من شدة الزحام ويظهر الجدل بين المطوف والحاج وسائق الحافلة و. . وو. . وهذا غير مرغوب في الحج فعلى حجاج بيت الله الحرام مراعاة هذا حتى تتم الأمور بما يرضي الله تعالى. . . وأمر آخر وهو مشكلة الرد الواحد والردين وعلى أيهما يسير الأمر وما عيوب هذه وما عيوب تلك وهذه ظاهرة ينبغي معالجتها حتى لا يتكرر ما حدث ونمشي على طريقة واحدة. ومشكلة اخرى خاصة بشركات سيارات النقابة اذ ان مديري الشركات يتعاقدون مع سائقين فيهم من أتى لمرات عديدة ومنهم من أتى لأول مرة. . لا يعرف الطريق ولا يلتزم بنظام المرور وخطة السير التي وضعها فيحدث الارتباك لدى هؤلاء السائقين وله الويل كل الويل حينما يضل الطريق مرة فعلية ان يدور الى ان يصل الى

مكة او الى عرفات وحينما يحاول دخول منى مرة اخرى يكون النهار قد ضاع فاذا وصل عند مكان المطوف وجده قد رحل او وجده قد استأجر سيارات اخرى ويقع المسكين تحت طائلة المسؤولية والخصم وما الى ذلك فلماذا لا تجلب الشركات سائقين مدربين على الطرقات ليعرفوا اتجاهاتها ومنحنياتها وملفاتها ومطباتها حتى لا يتعرضوا للخطأ وضياع الوقت ويعرضوا الحجاج للخطر الا اذا رأى البعض أن يكسب الحاج ثوابا حين يلقي مصرعه او يؤذي في هذه الرحلة الخالصة لوجه الله تعالى!! فإذا تعزر حضور سائقين عارفين بالطرق وقد سبق لهم العمل عليها فلتأت الشركات بالسائقين في وقت مبكر ويقومون بجولات تجريبية على الواقع وطبقا لخطة المرور التي توضع حتى لا يحدث ارتباك ولا إرباك لهذه الاسباب مجتمعة ولا يفوتنا الحديث في هذه العجالة عن مشكلة التحميل فوق السيارات والحافلات وقد اصبحت هذه ظاهرة سيئة للغاية واذا اردت ان تتتبع المتسبب لوجدت الكل يلقي التبعة على الكل اولا يقولون الحاج يريد ان يسافر بسرعة وهو قابل لذلك وامام الزحام لا نستطيع ان نجبره على الانتظار. ويقولون الشركات مقصرة لانها ليست عندها العدد الكافي من السيارات وكذلك يقولون عدم وجود السائقين اللازمين ويقولون نظام الرد الواحد فلا يستطيع السائق ان يعمل ردين ويقولون السائق يريد ان يستفيد من ذلك ويقولون المطوف هو المستفيد ويقولون المرور هو السبب ويقولون ويقولون وكأنها حلقة مفرغة الكل يلقي التبعة على الكل وكأنها مشكلة الشرق الاوسط يستصعب حلها فهل لنا من مخرج لتفادي هذه المظاهر السيئة التي تشكل خطورة ما بعدها خطورة وتتسبب في وفاة كثير من الحجاج. . . اخبرني صديق ان سيارة من سيارات الشركات قد انقلبت ومات الكثير ما يزيد عن المائة فقلت وكم ركاب السيارة

فقال لا يعدو الخمسين فقلت وكيف بهذا العدد فقال كان الركوب في السيارة وفوقها وكأن التحميل فوق السيارة اكثر بكثير من حمولتها الرسمية فساءلت نفسي كيف لهذه المشكلة بالحل والحل السريع الناضج؟!

وإذا تركنا هذا الى استغلال بعض اصحاب السيارات الخاصة الذين يصطادون في الماء العكر اذ كيف يستحلون ان يؤجروا سياراتهم لركوب الأفراد بأسعار اضعاف المتفق عليه الا من صوت ضمير من داخل انفسهم يردعهم فلا تسول لهم النفس الامارة بالسوء ان هذه تجارة حلال ولا إجبار. صحيح أنه ليس إجباراً مباشراً ولكنه اجبار ضمني يعني استغلال لازمة مواصلات او لظروف قهرية فهل لنا من تحديد لهذا الاستغلال الذي يقتل كل مشاعر الأخوة الاسلامية التي ينبغي ان تعم في ايام الحج كلى ايام العمر التي يعيشها الانسان. وما لهذا الانسان لا يغتنم مثل هذه الفرص فييسر على حجاج بيت الله الحرام فينتفع ماديا وينتفع معنويا يصيب الحسنين باعتدال في اخذ الأجر فبذلك ينال ثواب الله تعالى؟! ونختتم هذه العجالة بتعليق بسيط على الشركات وسوء معاملة الحجاج من ناحية او معاملة المطوفين من ناحية اخرى واسرد حادثة من الواقع دون ذكر اسماء او تعيين اشخاص. فأثناء جلوسي لتوزيع الحجاج على الشركات بحكم عملي رأيت ظاهرة لفتت نظري حين قام الموظف بتحديد شركة معينة فاذا بالمطوف يصرخ قائلا ارجوك حولني على شركة كذا فقلت وما الفرق فهذه ربما تكون اقرب لك من الأخرى قال بالله عليك لا اريدها وإلالا أجرت سيارات اخرى وتكررت هذه الظاهرة مرات ومرات وعرفت في نهاية الامر سوء معاملة بعض الشركات وحسن معاملة البعض الآخر وهذا ليس وارداً في خلق الاسلام والمسلمين..

واذا كان لي من كلمة اخيرة اختتم بها هذه اللقاءات فما هذا النقد الا من اجل الاصلاح وحسن المعاملة وتكريم هذا الضيف الذي اتانا من كل فج عميق يقصد وجه الله تعالى افلا نرحب به ونوفرِ له كل سبل الراحة وقد حبانا الله خيرات لا اول لها ولا آخر فلنشكر الله تعالى الا بالشكر تزيد النعم والله من وراء المقصد وما توفيقي إلا بالله العظيم. . .



فهرس